السّلطة وخطاب الشّرعيّة في الفكر الإماميّ الشّيعيّ

عبد الرزاق الدغري
جامعة القيروان/ تونس

الملخص:

مثّلت السلطة هاجسا دينيا وسياسيا ومشغلا أساسيا في الفكر الإسلامي القديم، فقد سعى المسلمون إلى تبرير أحقيتها، واستدلوا على شرعيتها والحاجة إليها انطلاقا من تأويل النص القرآني واعتمادا على مجموعة من الأحاديث المنسوبة إلى النبي وإلى بعض الأئمة، وقد أكسب هذا التعامل التأويلي مع النص المقدس التفسير والحديث بعدا مذهبيا مغاليا عبّر عن شتى ضروب التوظيف الإيديولوجي المذهبي والسياسي، وشرّع للاختلافات والصراعات بين المسلمين ومطالبة كل طرف بحقه في الحكم.

وقد آثرنا في هذا البحث أن نعالج إشكالية شرعية السلطة في الفكر الإمامي الشيعي وتتبّع مرجعيّات التشريع للحكم ومصادر تكوّنها وأسباب تباينها، ونروم دراسة بنية خطاب الشرعية السياسية والعناصر المساهمة في إنتاجه، فقد انشغل الرّواة والمتكلّمون الشيعة بالمطالبة بالسلطة، واعتبروها حقّا وواجبا خصّ الله به النبي وأئمة آل البيت، ورسموا معالم السياسة الشرعية، ونهلوا تصوراتهم للسلطة من عدّة مرجعيات جمعت بين الواقعي والرمزي والمتخيل. إنّنا نتبيّن أنّ خطاب الشّرعية السياسية والدينية تبلور في الموروث الديني الشيعي من خلال الحديث عن ثلاث فترات، تتراوح بين تبرير شرعية السلطة في الحياة الدنيا زمن الأئمة ونوّابهم، والحلم بالسّلطة في الرّجعة ليحكم الشيعة العالم ويؤسّسوا الدولة المنتظرة، في حين أنّ الكثير من الأخبار ترصد المهام القيادية الأخروية التي يؤدّيها الأئمة وهم سادة الخلق وواضعو موازين القسط، ولذلك وزّعنا إشكاليات البحث إلى المحاور الكبرى التالية :

1-الملك في حياة الأئمة : القيادة الدينية والسياسية لآل البيت.

2- الحكم زمن الرجعة : التمكين الإلهي أثناء رجعة الأنبياء والأئمة.

3– الملك في الآخرة : المتخيّل الأخروي وتحقيق الحلم الأبدي.

فما هي مميّزات كل مرحلة من هذه المراحل ؟ وكيف برّر الشيعة الإمامية شرعية السلطة؟ وما هي أبرز المرجعيات التي ساهمت في تشكيلها؟ وأين يكمن توظيف الأسطوري والمتخيل الرمزي في بناء هذه الأخبار والتأويلات وتأسيس خطاب الشرعية ؟

المقدّمة

انشغل الفكر الإمامي الشيعي بإثبات شرعية السلطة والمطالبة بها، واعتبرها حقّا وواجبا خصّ الله به النبي والمسلمين، فبحث العلماء عن مرجعيات الحكم الشرعي، ورسموا نظريات في الحكم عبّرت عن صراع المسلمين وتنوّع تأويلهم للنصوص وعن تدخل عدّة عوامل ومرجعيات في بلورة نظريات الحكم وتبريرها، لذلك بدت مسألة مرجعيات الحكم في الموروث الديني الشّيعي مشغلا مهما، لأنها تجسّم تصوّرات المسلمين لطبيعة السّلطة ونظام الحكم.

ولا شكّ أنّ الباحث في الموروث الإماميّ الشّيعيّ تفسيرا وأحاديثَ منقولةً عن الأئمّة يدرك أنّ المتكلّمين والفقهاء ورجال الدّين عامّة رسموا معالم السّياسة الشّرعيّة لحكم المسلمين، ويرصد التّطوّرات السّياسيّة والفكريّة في التّراث الإسلاميّ لتحديث نظريّة السّلطة. فقد سعى العلماء خلال عقود طويلة إلى تأكيد حاجة الأمّة إلى نظام سياسيّ، وبيّنوا قيمة السّياسة الشّرعيّة. ولئن عالجت بعض البحوث مسألة الحكم، ودرست الفكر السّياسيّ الشّيعيّ وتطرّقت إلى فقه السّياسة الشّرعيّة، فإنّها لم تتعمّق في البحث عن مرجعيّات تكوين السّلطة، وغيّبت الكلام عن المتخيّل السّياسيّ الأخرويّ[1] .

لذلك آثرنا أن نعالج في هذا البحث قضيّة حكمت الفكر الإسلاميّ وتعلّقت بشرعيّة السّلطة ومصدرها في الفكر الإسلاميّ الشّيعيّ القديم. وسنتعرّض إلى الفكر السّياسيّ الشّيعيّ ونظريّاته في الإمامة، وإلى خصائص فترات الحكم التي رسمتها مخيّلة الرّواة، وهدفت إلى بلورة مفهوم السّياسة الشّرعيّة ومنطلقات الحكم، وعرّفت الدّولة المنتظرة. ونتطرّق في هذا المقال أيضا، إلى إشكاليّة السّلطة بين المقدّس والتّاريخ والمتخيّل، وسنقارب مفهوم السّلطة الرّوحيّة والزّمنيّة أو الدّينيّة والدّنيويّة في التّراث الإماميّ قبل اكتمال نظريات الحكم وظهور مفهوم الدّولة في الفقه الشّيعيّ المعاصر.

[1] راجع مثلا: غضنفر ركن آبادي، الإسلام والنظام السياسي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط2، بيروت،2013، ص ص89-503. نبيل فازيو، دولة الفقهاء بحث في الفكر السياسي الإسلامي، ط1، بيروت، 2015،ص ص37-533.

وسنقدّم قراءة وصفيّة ونقديّة لمفهوم الدّولة وللإسلام السّياسيّ الشّيعيّ إلى ما قبل تبلور نظريّة ولاية الفقيه التي كرّسها"الشيخ"محمد حسين النّائيني (ت1936م) ودعّمها الفكر الثّوريّ الإيرانيّ بدءا بالإمام الخمينيّ (ت1989م)[1]. وسندرس المفاهيم والمقولات النّاظمة لعلاقة المسلمين بالسّياسة انطلاقا من مرجعيّات عديدة يتداخل فيها التّاريخي والغيبي والخيالي والرّمزي.

ونهدف في هذا البحث، إلى التّعريف بالسّياسة الشّرعيّة، وإلى توضيح قيمتها وجدواها عند المسلمين، فقد دفعت عدّة لحظات تاريخيّة الفئات الشّيعيّة إلى الثّورة على النّظام السّياسيّ، وجاءت دعوات المعارضين للخلافة القائمة ملحّة على تطوير السّياسة الشّرعيّة وتجديدها حتّى تستطيع التّناسب مع نصوص الشّريعة، وترسم معالم الحكم الإسلاميّ.

ويستوقفنا في هذا البحث ما رسمه المخيال (L'imaginaire) الشّيعيّ من أفق توقّعات وانتظارات تعبّر عن شكل الحكومة الإسلاميّة، وترصد صورة الفقيه والقائد السّياسيّ وتضبط مهمّته، وتزيل الغموض عن معنى السّلطة والحكم الرّشيد . ولا يخفى على المهتمّ بنظريّات الحكم أنّها استفادت من مرجعيّات مختلفة، ونعني بالمرجعيّات (Références) كلّ خلفيّة تاريخيّة أو دينيّة أو سياسيّة أو رمزيّة، وهي مصدر الإحالة والنّهج المعرفيّ والقيميّ، والجهة أو الشّخص الذي يمثّل منبعا معرفيّا ومنهلا فكريّا، ويُرجع إليه في كلّ ما يشكّل صعوبة . ويؤكّد تعدّد "المرجعيّات" تنوّع الرّوافد والثّقافات التي نهل منها الفكر الشّيعيّ والمتخيّل الإسلاميّ في تكوين أفكاره ورسم رؤاه في فترات متباينة.

وانقسمت مراحل السّلطة في الفكر الإماميّ إلى ثلاثة أطوار كبرى، يجسّم الطور الأول مرحلة الملك الدنيويّ، وهي فترة منقضية عاشها أئمّة أهل البيت، وحُرّم فيها العمل السّياسي مدّة طويلة في طور الغيبة، وشكّلت مرحلة معارضة للسّلطة الحاكمة والاحتجاج عليها، ومثّلت زمنا سياسيّا وتاريخيّا يؤرّخ لشرعيّة حكم آل البيت والاستدلال على حقّهم المقدّس في السلطة، ويكشف الطور الثاني عن الرّغبة في تحقيق ملك دنيويّ منتظر يكون قبل قيام السّاعة، وأمّا ثالث أطوار هذا الحكم، فإنّه يعبّر عن السّلطة الشّرعيّة المنتظرة التي تتحقّق في الآخرة، لذلك برع الرواة في رسم منزلة آل البيت ودورهم الريادي في أزمنة وأمكنة مفارقة للعالم الأرضيّ، وتعمّق المخيال الشّيعيّ في إظهار خصوصيّاتها ليحقّق مقاصد متنوّعة . فما هي خصائص كلّ مرحلة؟ وفيم تتمثّل المرجعيّات الفكريّة التي استند إليها الرّوّاة لتبرير شرعيّة الحكم في هذه الأطوار المختلفة؟ وما هي طبيعة الدّولة التي كرّسها الفكر الشّيعيّ القديم؟

[1] محمد حسين النائيني، تنبيه الأمة وتنزيه الملة، ط1، ترجمة مشتاق الحلو، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين بغداد، دار التنوير للطباعة والنشر، 2014.

1- المُلك في حياة الأئمّة من آل البيت: القرآن والسّنّة.

لقد تأخّر ظهور الفقه السّياسيّ في أدبيات أهل البيت، وانتشر نزر قليل منه في تراث المذهب، وتفرّق بين التّفسير والحديث، فلا نكاد نجد تدوينا مستقلاّ، ثم تبلور بوضوح بعد القرن العاشر الهجريّ مع **المحقّق الكركيّ** (ت940هـ/1533م) الذي أشار إلى نيابة الفقهاء عن الأئمّة، ثم تحدّث **أحمد النّراقيّ** (ت1245هـ/1829م) عن الوظيفة السّياسيّة للفقهاء في عصر الغيبة. ويعزى هذا الحضور الضّعيف للفقه السّياسيّ في المدوّنة الشّيعيّة القديمة إلى ما وجده المتكلّمون والفقهاء من ظروف سياسيّة واجتماعيّة قاسية منعتهم من التّنظير لمفهوم الدّولة وخصائص النّظام السّياسيّ، وإلى إقصائهم عن الإدارة والحكم[1].

وتتحدّد مرجعيّات السّلطة في الإسلام في مصدر الحكم، فقد تواتر في النّصوص الدّينيّة الشّيعيّة المنقولة عن الأئمّة الحقل الدّال على السّياسة مثل عبارات "الحكم" و"الملك" و"الولاية" و"الأمير"، وانتظمت فيما يعرف بالسّياسة الشّرعيّة، وهي باب من أبواب العلم والفقه في الدّين، تنهل من الشّريعة الإسلاميّة قرآنا وسنّة وتاريخا، وترمي إلى تحقيق مصالح الإنسان الدّينيّة والدّنيويّة وقيادة الأمّة. وتفيد السّياسةُ الشّرعيّةُ في التّعريف الفقهي الصّلاحَ ودرءَ المفاسد السّياسيّة من خلال الأمر والنّهي والتّوجيه والتّأديب. ويتَمثّل مصدر الحكم الشّرعيّ والمرجع الدّينيّ الذي ينوب النّبي في القرآن والأوصياء أو"الثّقلين"، لقد ذُكر أهل البيت مع القرآن واعتُبِرا صنوين مقدّسين، يكتسبان شرعيّة الحكم المقدّسة، فتذكر الأدبيات الشّيعيّة أنّ الله اصطفى الأئمّة من عباده وأورثهم كتابه، وصيّرهم ولاة الأمر وأركان الأرض والنّعمة والسّبيل وأهل الذّكر والطّريق الذي يتوجّب على المؤمنين اتّباعُها، وورثة علمه، والعارفين بكتابه، عندهم جميع الكتب والآيات التي منحها الله للأنبياء، وجعل القرآن يهدي إليهم، ممّا يعني أنّ الفقه السّياسيّ الشّيعيّ **نظّر** لمفهوم الدّولة الدّينيّة التي تجسّم الحاكميّة الإلهيّة وتستمدّ شرعيّتها ونظام حكمها من نصوص الشّريعة وسيرة الأئمّة وأقوالهم، فقد انتقل الفكر الإسلاميّ من التّشيّع الدّينيّ إلى التّشيّع السّياسيّ وبدأ المتكلّمون يصوغون نظريّاتهم في الحكم والسّياسة[2].

وتبيّن لنا أنّ المتكلّمين والمحدّثين حصروا تعريف الدّولة الشّرعيّة في "عقيدة الولاية" و"صفات الإمام". فمنح الرّوّاة الإمام مكانة محوريّة، وصار زعيما سياسيّا وقائدا عسكريّا وسلطة معرفيّة وروحيّة،

---

[1] تنبيه الأمة وتنزيه الملة، ص13.

[2] هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، الأعلمي للمطبوعات، بيروت،2006،م1، ص ص 24-69. جعفر محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 2005، م1، ص ص120-133.

يمثل الله في الأرض، فقد أثبتت الأحاديث والتّفاسير الشّيعيّة الإماميّة أنّ الله فرض طاعة "وليّ الأمر" في كتابه (النّساء59/4 و83، المائدة55/5)، فكان تأويل "وليّ الأمر" بالإمام من أهل البيت، وتأسّست شرعيّة السّلطة على النّسب، والانتماء المذهبيّ، وتركّزت على السّلالة العَلَويّة من أبناء فاطمة والحسين، فقد ذكر المفسّرون أنّ الآية "**أطيعُوا اللهَ وَأطيعُوا الرّسُولَ وَأولِي الأمرَ مِنكُم**" (النساء59/4) نزلت في عليّ والحسن والحسين، وأنّ النّبيّ قال : "**مَنْ كُنتُ مَوْلاَهُ فعَلِيٌّ مَولاَه**" وقال أيضا " **أُوصِيكُم بِكِتَابِ اللهِ وَأهلِ بَيْتِي، فَإنّي سَألتُ اللهَ عزّ وَجَلّ أن لاَ يُفرّقَ بَينَهُما حتّى يُوردِهمَا عَلَيّ الحَوضَ، فَأعطَانِي ذَلِكَ**" و"**اللّهُم إنّ لِكُلّ نَبِيّ أهلاً وَثَقَلاً وَهؤُلاء أهل بَيتِي وَثقلِي..**"[1].

ويتجلّى من خلال هذه النّماذج الرّوائيّة والتّفسيريّة أنّ الخلافة/الإمامة في الفكر الشّيعيّ ليست قضيّة مصلحيّة، وإنّما هي ركن مقدّس من أركان الدّين، ومفهوم قرآنيّ يدلّ على السّيادة والسّلطة، وأنّ الولاية تكوينيّة من الله وتخصّ أيضا الأنبياء والأولياء، وولاية كلاميّة للأئمّة، وولاية عرفانيّة، وهي السّلطة المفترضة لبعض النّاس، يحصل عليها الوليّ من خلال "الفناء في الحقّ والفناء في الله"[2]. لذلك تكثّفت أحاديث وتأويلات تمنح الأئمّة شرعيّة ولاية المؤمنين من الله، وتحجب أحقيّة السّلطة عن الخلفاء السُّنّة، وتُكسِب أهل البيت سلطة مقدّسة من خلال صفات العصمة والتّعيين ونسبة بعض الخوارق إليهم، وأصبحت الولاية مقدّسا سياسيّا يخصّ الأئمّة المعصومين، وأضحت عقيدة منتظرة في أزمنة مختلفة تحقّق حلم الشّيعة ومجدهم الأبديّ. لقد كان النّبيّ صاحب سلطة سياسيّة مقدّسة، ثم انتقلت الزّعامة والقداسة إلى الأئمّة بدءًا بعليّ، وصولا إلى الإمام الثّاني عشر. ولذلك يحاول هذا المقدّس السّياسيّ الرّجوع في آخر الأزمنة والظّهور في الآخرة. وفي هذا الصّدد أبرز الفيلسوف الفرنسيّ مارسال قوشيه (Marcel Gauchet) أثر الواقع التّاريخيّ في الدّين، فقد سمح الواقع بتحوّل الدّين إلى إيديولوجيا، وبالانتقال من الاعتقاد الدّيني إلى الاعتقاد السّياسي، ممّا أحدث التباسا بينهما [3].

وتدعّم البحث عن شرعيّة سلطة الإمام الذي يمثّل الحقّ الإلهيّ، وتنامى تكفير الآخرين ووصفهم بالمارقين وأعداء الإمام وأعداء الله، فتبرّأ الشّيعة ممّن ظلم الإمام، وكفّروا الصّحابة ومن لم يوال الأئمّة وآل

---

[1] أبو النصر محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي،ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان، 1991،م1، ص279.وانظر: أصول الكافي، م1، ص ص165-168. الأحزاب33/33، والمائدة55/5:"إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ " أصول الكافي، م1، ص ص165-168.

[2] محمد مصطفوي، نظريات الحكم والدولة، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدستوري الوضعي،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت،2002،ص ص26-29.

[3] Marcel Gauchet, *La démocratie contre elle-même*, Paris, Gallimard, 2002, p-p. 90-109.

بيت الرسول، لأنّهم حجج الله على خلقه وأعلم عباده وورثة أنبيائه وأكثرهم قدرة على تحمّل مسؤوليّة قيادة الأمّة، ولذلك وجبت الاستفادة من تجربة الأئمّة وصفاتهم في الحكم [1].

واتّضح لنا أنّ الفكر السّياسيّ الشّيعيّ تأسّس على نظريّة الإمامة الإلهيّة لآل البيت، انطلاقا من واقعة السّقيفة وحديث "غدير خم" [2] وبعض التّأويلات المتّصلة بالولاية والخلافة، فقد تأوّل المفسّرون الشّيعة بعض العبارات القرآنيّة بالأئمّة مثل "أولي الأمر" و"الصّراط "و"العشيرة" و"ذي القربى" و"الثّقلين"، واستثمروا ما اتّصل بالآيات من أخبار تاريخيّة متعلقة بآل البيت، وفسّروا القرآن وأهل البيت بـ"الثّقلين"و"حبل الله الممدود"، إذ ورد في تفسير الآية التّاسعة والخمسين من سورة النّساء"**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**"أنّها نزلت في عليّ حين خلّفه النبي على المدينة و ولاه الله أمر الأمّة بعد رسوله،وأعلمه النّبي أنّه بمنزلة هارون من موسى لما قال موسى لهارون"**اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ**"(الأعراف/142)، وجاء في تأويل"**إنّما وليّكم الله وَرَسُوله والذِينَ آمنوا**"(المائدة55/5)أنها تعني صهر النبي وذريته[3].

إنّنا نلاحظ تداخل الواقعيّ بالعجيب في هذه الأخبار، وانزياح المفسّرين بالكثير من التّأويلات والرّوايات من مدلولها التّاريخيّ وسياقها النّصّي إلى سياقات مذهبيّة جديدة استند من خلالها خطاب الشّرعيّة السّياسيّة إلى مفهوم القرابة والقبليّة لإثبات أحقّية السّلطة، وإلى مفهوم التّنصيب والنّسب العَلَويّ والقرشيّ والعصبيّة لتعيين وليّ الأمر [4]. إنّ هذا التّمثّل للسّلطة يجسّم الاختلاف بين النّصّ والتّاريخ، ويعبّر عن التّفاعل بينهما، فقد انطلق العلماء/المتكلّمون والرّوّاة والمفسّرون من النّصّ، واستفادوا من إسلام التّاريخ الذي عبّرت عنه الوقائع والأحداث التّاريخيّة، وأحزاب المعارضة السّياسيّة الدّينيّة الشّيعيّة في صدر الإسلام، وألبسوا الآيات ومعانيها دلالاتٍ جديدةً تجسّم أحداث الواقع وإشكاليّاته، لإيهام المتلقّي بأنّها

---

[1] راجع مثلا : تفسير العياشي،م2 ، ص ص 62-63، أصول الكافي، ص ص 105-108.

[2] يُروى أنّ النبي جمع الناس في مكان بين مكة والمدينة يدعى "غدير خم"، وبايعهم على ولاية علي، فقال:"ألاَ مَنْ كُنتُ مَوْلاَه فَعَلِي مَوْلاَه، اللّهمّ وَال مَنْ وَالاَه، وَعَادِ مَنْ عَادَاه": تفسير العياشي، م1، ص15.

[3] البرهان في تفسير القرآن، م2 ، ص 265. علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ط1، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1991، م1، ص ص178-180.

[4] البرهان في تفسير القرآن،م2، ص ص82-83.و م4، ص551-553وم5، ص509و 512.

مقاصد النّصّ ومعانيه، والإقناع بصحّة ما نسب للنّبيّ والأئمّة من أخبار وأحاديث تركّز على التّنصيب السّياسيّ لآل البيت وتنسف شرعيّة حكم الأمويّين والعبّاسيّين[1].

ونستنتج من هذه الآراء والأحاديث أنّ عبارات "الحكم" و"الولاية" و"القيادة" و"السّياسة" اقترنت بالشّريعة والإمامة للدّلالة على القيام بشأن الرّعيّة من قبل ولاّتهم، وذلك بوضع التّنظيمات والتّرتيبات التي تراعي الشّرع وتلتزم به. وبهذا المعنى نخلص إلى أنّ السّياسة الشّرعيّة سياسة دينيّة وعقليّة موضوعة لخلافة النّبوّة والأئمّة وقيادة الأمّة، وهي أيضا الحكمة العمليّة التي يصلح بها العباد فتنتظم أحوالهم. وقد أثبت الرواة أنّ الأمّة في حاجة ماسّة إلى السّياسة الشّرعيّة، باعتبارها علما نافعا تعرف به أنواع الرّئاسات والسّياسات وأمرا صالحا لإدارة شؤون المسلمين وتدبير أمورهم. وإذا كان الملك السّياسيّ نظر عقليّ في المصالح الدّنيويّة، يهدف إلى دفع المضارّ، فإنّ الخلافة هي حمل الكافّة على مقتضى النّظر الشّرعيّ في مصالحهم الأخرويّة والدّنيويّة الرّاجعة إليها[2]، وفي هذا الصدد عمل الرواة الشيعة على تأكيد قيمة الولاية الدينية لآل البيت واعتبروا الأئمة ولاة الله وحججه. وأمّا السّلطة (Autorité)، فإنّها تعني القيادة والرّئاسة والحكم المطلق للأئمّة، لذلك وُصف الإمام بـ"خليفة الله" و"حجّة الله " و"وصيّ النّبيّ" و"أمير المؤمنين"، وقد وجبت بيعته، وبات الإجماع على طاعة من يعيّنه من بعده عقيدة راسخة، فانتقل المسلمون إلى توريث السّلطة والتّأكيد على نسبتها إلى السّلالة العَلَويّة الفاطميّة انطلاقا من الآية "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** "(النّساء59/4) لكن، ألا تختلف طاعة الله والرّسول عن طاعة أولي الأمر؟

إنّنا نميل إلى أنّ طاعة الله ونبيّه مسألة دينيّة تلزم المسلمين بتطبيق الفرائض والشّريعة، وأمّا طاعة أولياء الأمور فسياسيّة دنيويّة وبشريّة عامّة تستوجب طاعة الحاكم/ الأمير أو عالم الدّين في عدّة جوانب حياتيّة ودينيّة، وتنفي مفهوم العصمة والتّعيين عن القائد أو الفقيه، وتؤكّد حرّية اختيار وليّ الأمر وعدم انحصار الولاية السّياسيّة في آل محمد[3].

---

[1] قامت حركات سياسية معارضة للسلطة السنية الحاكمة تزعمها الحسين بن علي وسليمان ابن صرد الخزاعي ومسلم بن عقيل . راجع يوليوس قلهوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1976، ص ص112-130.

[2] راجع مثلا : أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص 15.

[3] انظر : المائدة92/5، النور54/24، علي الأمين، ولاية الدولة ودولة الفقيه،ط3، دار مدارك للنشر،الإمارات المتحدة، 2014، ص ص71-74.

ونخلص إثر هذا التّحليل إلى أنّ السّلطة في الفكر السّياسيّ الشّيعيّ تعني الولاية، وأنّ مفهوم الشّرعية أو المشروعيّة كان معيارا أساسيّا في بناء معنى السّلطة، وقد اجتمعت في تحديد هذا المفهوم مقاييس العصمة والعلم والتّعيين الإلهيّ والنّفوذ السّياسيّ والامتلاك الرّوحيّ والتّوجيه العقائديّ[1]. فلئن قام خطاب الشّرعيّة في الإسلام السُّنيّ على تأكيد سلطة الرّسول والصّحابة والجيل الإسلاميّ الأوّل، وكثّف الرّواة أحاديث المناقب والغزوات والفتن التي تدعم سلطة الخلفاء، وتثبت حاجة الأمّة إلى الخلافة وتدعو إلى التّمسّك بالجماعة وترسم خصال القائد السّياسيّ وتحدّد نسبه القرشي[2]، فإنّ الفكر الإماميّ الشّيعيّ تأسّس على ولاية الأئمّة من آل الرسول. ويتّضح من خلال شروط تولّي الإمامة أنّ آراء المتكلّمين والرّوّاة والمفسّرين عامّة لا تعدو أن تكون تأويلات سياسيّة ودينيّة تعبّر عن الانتصار لهذا الخليفة أو ذاك، وهي ترمي إلى إضفاء هالة من القداسة والشّرعيّة على مواقفهم وعلى المذهب الإماميّ، فكانت مواقف بعديّة لوقائع سابقة انبنت على الموالاة لعليّ أو الخروج عنه. فقد تأوّلوا النّصّ والتّاريخ ووضعوا شروطا للإمامة على أساس المواقف من السّلطة، وقد تجلّت من خلال هذه الشّروط النّزعة القبليّة والمذهبيّة في تعيين الإمام والتي تقوم على القرشيّة والعلم والاصطفاء الإلهيّ واعتباره حقيقة كونيّة ونورانيّة، فبدت بعض هذه الشّروط تبريرات بعديّة للأمر الواقع الذي ساد منذ المرحلة الأولى من تاريخ المسلمين، ومثّل بعضها الآخر غطاءً لتجنّب الخروج على هذا الواقع وحرص من خلالها المسلمون على إبراز السّلطة بطابع دينيّ ثيوقراطي، ليكون الإمام ممثّل الله في الأرض، وتكون الأمّة والدّولة مملكة الله وشعبه المختار.

وتراءى لنا أنّ مصطلحات "الطّاعة" و"الولاية" و"الحجّة" و"الحكمة" و"القضاء" و"الملك العظيم"[3] تجسّم معاني السّلطة والشّرعيّة، وهي معان متلازمة وملتبسة بأبعاد تاريخيّة وسياسيّة عميقة، ذلك أنّ الشّيعة الإمامية الإثني عشرية حاولوا البحث عن شرعيّة سلطة الإمام، ورسموا معالم القيادة السّياسيّة الشّرعيّة التي تنطلق من الكتاب والسّنّة وتقوم على عقيدة الإمامة وخلافة النّبيّ وقيادة الأمّة، فقد ذكرت مجاميع الحديث الشّيعيّة: "**إنّ الإمامة زمام الدّين ونظام المسلمين وصلاح الدّنيا وعزّ المؤمنين. إنّ الإمامة أسّ الإسلام النّامي وفرعه السّامي**". وتَوَضَّحَ لنا من خلالها أنّ الإمام يضطلع بوظائف سياسيّة ودينيّة فـ"**بالإمام تمام الصّلاة والزّكاة.ومنع الثّغور والأطراف، الإمام. يقيم حدود الله**

---

[1] علي فياض، نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي ،ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2010، ص ص9-83. الأحزاب 6/33.

[2] أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم، ط1، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000، م6، ج12، ص 157. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط1، دار الفكر، لبنان، 1993، م8 ،ص 639.

[3] أصول الكافي، ص95. 105. ص: 113"**إني لصاحب...دولة الدول**" وص118.

ويذبّ عن دين الله...مضطلع بالإمامة عالم بالسّياسة..."[1] ، وبات من نافلة القول أنّ الشّيعة الإمامية استقوا صورته من خصال القادة في الجاهليّة والأنبياء الذين يجمعون بين وظيفتي التّبليغ وحماية شعب الله ومملكته، وأسبغوا على صفاته ومميّزاته طابع القداسة والكمال لنزع الشّرعيّة عن الخلفاء السّنة، لقد آتاه الله الملك العظيم، فمن أطاعه فقد أطاع الله.

ونستفيد من خلال هذا الفهم للسّلطة أنّ الفكر الإمامي الشّيعيّ هدف إلى تحقيق المبادئ العامّة للحكم الرّشيد بالاجتهاد في تطبيق تعاليم الإمام، فقام تدبير السّلطة بتأويل القرآن ليستمدّ الولاة شرعيّتهم وإضفاء طابع القداسة على الإمام ونظام حكمه، وتعانقت المرجعيّات القبليّة والمتخيّلة والرّمزيّة لرسم صورة القائد السّياسيّ وضبط منزلته ومهامّه ولتحديد صورة الشّعب أو أتباع الإمام، فاعتمد الشّيعة النّصوص الدّينيّة حجّة نصّيّة وشرعيّة للمطالبة بالسّلطة، وأكسبوا الوقائع التّاريخيّة والآيات القرآنيّة وصفات الأئمّة طابعا قدسيّا مغاليا لتبرير شرعيّة الحكم. إنّنا نتبيّنّ أنّ الرّواة الإمامية نقلوا روايات مذهبيّة وتأويلات غنوصيّة مفعمة بالرّموز والإشارات والكنايات والأقنعة والأسرار والمشاعر، اتّصلت بكرامات الأوصياء ومناقبهم، ورسموا صورة مغالية للأئمّة لها مميّزاتها الجماليّة والرّوحيّة والدّلاليّة والتّخييليّة، أطنبوا من خلالها في إرساء خطاب حجاجيّ ووجدانيّ يضمر عقائد الفرقة، فتداخلت السّيرة التّاريخيّة بالخيال الشّعبيّ، وارتقت بهم المخيّلة الشّيعيّة من المنزلة العادية إلى مرتبة خارقة ومقدّسة لتعبّر الكرامات والمناقب عن صلة متينة بين التّصوّف والتّشيّع، وقد حرص المستشرقون مثل **أنا ماري شيمل** (Anne Marie Schimmel) و**هنري كوربان** (Henry Corbin) على إبرازها[2].

لقد برّر المسلمون الحاجة إلى السّلطة وإلى الأنظمة السّياسيّة الشّرعيّة بأنّ ممارسة العبادة ينبغي أن تكون في أمّة منظّمة وتستوجب الإمامة، فلا تخلو الأرض من حجّة، ولذلك فإنّ حاجة الأمّة إلى إمام /حكومة إسلاميّة أمر إلهيّ يضمن تنفيذ نظام سياسيّ ينطلق من الكتاب والسّنّة، ويكفل ممارسة العقيدة وحماية المسلمين وتحقيق المساواة بينهم. وتقوم السّياسة الشّرعيّة على جملة من القيم والمبادئ مثل آليّة البيعة والإجماع، وتعني العهد على طاعة الأئمّة وتطبيق أوامرهم التي لا تخرج عن حدود شرع الله،

---

[1] أصول الكافي، ص ص114- 115.

[2] أنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل، كولونيا- بغداد، 2006، ص ص229-242. هنري كوربان، في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية، ترجمة ذوقان قرقوط، ط3، القاهرة، 2004، ص ص215-316.

ونستنتج من ذلك أنّ فقه السّياسة الشّرعيّة كان راسخا منذ عهود الإسلام الأولى، وأنّ المتكلمين والرّواة رسموا شيئا فشيئا معالم دولة الفقهاء [1].

إنّ أساس السّياسة الشّرعيّة في الفقه الشّيعيّ هو العودة إلى الكتاب والسنّة، الثّقلين الرّئيسيين اللذين ينبغي أن يتّبعا في قيادة الأمّة وتدبير شؤونها ورعاية مصالحها الدّينيّة والدّنيويّة. ثمّ توسّعت دائرة شرعيّة السّلطة لتشمل في مراحل متباينة من تاريخ الفكر الشّيعي اتّباع نهج النّبوّة المحمّديّة والاهتداء بالأئمّة المعصومين ونوابهم وأتباعهم من السلف الصالح. وقد رسم الرّواة شروط تعيين الإمام وصفات الملك الصّالح، وتواترت الأحاديث التي تنوّه بمنزلة آل البيت وتُبطل حكم الخلفاء الرّاشدين والأمويّين، فآل محمّد نجوم وأمنة لأهل الأرض، وهم وأتباعهم الفرقة النّاجية في الإسلام وسفينة النّجاة والصّراط المستقيم الذي ينبغي أن يسلكه المسلمون[2]، فكانت الكثير من العقائد الشّيعيّة وسيلة تحريض للطّعن في عقائد الآخرين وتكفيرهم ونسف شرعيّة مطالبتهم بالخلافة وأداة للسّيطرة على المجتمع، فقد وصفت حكم الأمويّين والعبّاسيّين في بعض الخطب السّياسيّة والرّؤى بالتّيه والعمى والصّمم والباطل، وعدّت الخليفة والأمير من غير أهل البيت السّلطان الدّاعي إلى الضّلالة [3].

ونلاحظ أنّ مصنّفات الحديث والتّفسير أمعنت في رسم صورة الخليفة الشّرعيّ، وأطنبت في الحديث عن أئمّة الكفر ووصفتهم بالفجور والمجون وحذّرت الناس من اتّباعهم كي يجتنّبوا مغالطاتهم وجورهم ونفاقهم. واختلفت مستندات الشّرعيّة مثل الإرادة الإلهيّة والتّعيين والوصيّة والانتساب إلى ذريّة الحسين وأخبار المناقب والمعجزات والسّبق إلى الإسلام، وتوظيف الألقاب والكنى والصّفات مثل "حجج الله " و"الصّدّيقين". وقد تركّز الفكر السّياسي الشّيعيّ على الوصيّة وسعة علم الوليّ الحاكم ودرايته الواسعة بالسّياسة وعصمة الإمام من الأدناس، ولذلك فإنّ الإمام القائم بأمر الله والحاكم بشرعه ليس بشرا عاديّا، بل هو معيّن من الله، وهو الوليّ العادل المنزّه عن الكذب والجور والفسق والفساد، وإنّ أئمّة الشّيعة هم أئمّة الحقّ والعدل، والإمامة هي رأس السّلطة، ولا قيام لأيّ مجتمع أو دولة بدونها، وهي فريضة مقدّسة ورسالة يواصل بها الإمام نبوّة الرّسول. ومثّلت صفة العلم إحدى أبرز شروط الإمامة، فالأئمّة هم ولاة الله، وخزنة علمه، والرّاسخون في العلم، وشجرة النّبوّة، جمعوا القرآن وعرفوا ظاهره وباطنه، فأُثبِت علمه في صدورهم، وأورثهم الله كتابه، وأطلعهم على عالم الغيب، فبات من الواضح أنّ

---

[1] دولة الفقهاء في الفكر السياسي الإسلامي، ص 385. أصول الكافي، ص ص94-330.

[2] البرهان،م2، ص ص82-91، م3، ص113و م 4 ص ص432- 434.تفسير القمي، م1، ص ص178-181.

[3] أصول الكافي، كتاب الروضة، ص703. البرهان في تفسير القرآن،م2، ص ص82-91 وص ص239-265.

هذه المقاييس للخليفة/ للإمام صاغتها المذهبيّة الشيعيّة، وتأثّرت بالمساجلات والجدال على خلافة النّبيّ[1].

لقد تعلّق مفهوم القيادة السّياسيّة بأسرة النّبيّ/آل البيت، فانتقلت إليهم القداسة، وأسبغ مصطلح الأهل أو الآل بدلالات سياسيّة ودينيّة، فتعدّدت التّعريفات وعكست العصبيّة القبليّة والصّراع على السّلطة بين بني هاشم وبني أميّة وبين العلويّين والأنصار والمهاجرين. وأسّست الأخبار الشّيعيّة لخطاب يدعم السّلطة في عوائل النّبيّ[2].

وقد توسّع المخيال في تعظيم تجربة الأئمّة، وعجّت مرجعيّات التّعريف بالوليّ/ السّلطان بالتّأويلات الرّمزيّة والدّينيّة التي أنتجها الفكر السّياسيّ والمتخيّل الاجتماعيّ، وتنوّعت مرجعيّات إنتاج صورة الوليّ (دينيّة، كتابيّة،سياسيّة،غنوصيّة...) وكشفت تعاظم الصّراع على السّلطة والبحث عن شرعيّة الملك والخلافة، فاستثمر المفسّرون والرّوّاة اجتهادات الصّحابة للطّعن في شرعيّة خلافتهم، وألبست عدّة مصطلحات قرآنيّة بمعان سياسيّة وعقائديّة، وأمعنت الأخبار والتّفاسير في نشر التّكفير وعقيدة الولاية والبراء، للتّشنيع بالصّحابة من خلال تأويل الأحداث التّاريخيّة مثل السّقيفة والجمل وصفّين[3].

وتكرّس خطاب سياسيّ معارض، يرفض التّراث الفكريّ السّائد، ويعتمد روّاة ومصاحف وكتبا مخالفة لما هو رائج في الأوساط السّنيّة، وانبرى المتكلّمون الشّيعة إلى إثبات تفرّد الأئمّة بالعلم والتّأويل والتّفسير، بل ادّعى بعضهم حوزة عليّ وأبنائه لقرآن صحيح يُظهره المهديّ قبل السّاعة. فقد استثمر الشّيعة تجربة الجيل الأوّل في الاهتمام بجمع القرآن وتدبّر علومه ودرايتهم بالتّفسير والتّأويل واستغلّوا ظاهرة تعدّد المصاحف واختلافها لإثبات فضل أهل البيت أو الصّحابة وتأكيد سلطتهم العلميّة والمعرفيّة والسّياسيّة، وأصبح أهل البيت مرجعيّة علميّة ومذهبا يُتّبعُ. وبيّنوا من خلال هذه التّأويلات امتلاك العلم وأحقيّتهم بوراثة النّبيّ، رغم أنّ الأخبار تؤكّد متانة العلاقة بين أئمّة أهل البيت والصّحابة[4]. ولذلك نرى أنّها تأويلات مذهبيّة صاغها الوجدان الإسلاميّ، فأصبح عمل الجيل الإسلاميّ الأوّل مقدّسا و صار كلامهم مقصدا من مقاصد الشريعة، وتنافس المسلمون على السّلطة انطلاقا من العلم لتكريس نظريّة التّفويض الإلهيّ والحكم الوراثيّ وإرساء طابع الملوكيّة الإقصائيّة.

---

[1] أصول الكافي، ص ص94-109، 122، 127و703-705.

[2] – انظر: محمد حسين الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، دار التعارف، بيروت- لبنان، (دت)، ص ص52-73. وراجع: تقي الدين المقريزي، التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، بيبليون، لبنان، (د . ت)، ص ص11-90.

[3] تفسير القمي، م1، ص ص91-93، م2، ص ص223-234. تفسير العياشي، م2،ص72.

[4] تفسير العياشي، م2، ص31. تفسير القميّ، م2، ص455. أصول الكافي، م1، ص127-137.

ويتّضح من خلال الأدبيّات الشّيعيّة أنّ الفكر الإماميّ الشّيعيّ القديم رفض التّاريخ السّياسيّ السّنّي والمرجعيّة التّاريخيّة السّلفيّة السّنّية، ونبذ القواعد الأصوليّة (الإجماع/القياس...) واعتمد مرجعيّة أهل البيت، فأصبحت أقوال الأئمّة سلطة سياسيّة ودينيّة ومرجعيّة يُعتدّ بها، فلا حاجة في الفكر الإماميّ للتّأويل طالما أنّ النّصّ مستمرّ، لأنّ الإمام يجسّم حضور النّصّ في التّاريخ. ويرفض العقل الشّيعيّ القديم أن تضاف إلى الكتاب والأئمّة مرجعيّة بشريّة تعتمد التّأويل والقياس والإفتاء/الاجتهاد، ولذلك أبطل سلطة أبي بكر وعمر وغيرهما من الصّحابة والتّابعين، واعتبر كلام الأئمّة نصّا متّصل الإسناد بالله، لذلك فإنّ الإمام نصّ حاضر في كلّ زمان، وقد أوجب هذا المعتقد الإقرار بعقيدتي الرّجعة والباطن لممارسة السّلطة.

لكنّنا نرى أنّ الفقه السّياسيّ الشّيعيّ الذي يشيد بسلطة الإمام، ويعتبره خليفة الله في أرضه يتعارض مع مواقف عليّ بن أبي طالب وسيرته، ذلك أنّه اجتهد في فهم النّصّ، وكرّس من خلال موقفه السّياسيّ السّلطة المدنيّة، وأثبت قاعدة الشّورى والتّوافق في اختيار وليّ الأمر على اختلاف نسبه أو معتقده، ورأى أنّ الشّرعيّة السّياسيّة يستمدّها الحاكم انطلاقا من تجسيده للعدالة والدّيمقراطيّة، وهو ما يعني أنّ السّلطة أمر دنيويّ وشأن بشريّ، فعارضه الخوارج بقولهم:"**لاَ حُكمَ إلاّ لله**"[1].

وقد تبيّن لنا انطلاقا من كتب التّفسير والعقائد انتشار عدّة أفكار ومعتقدات تعبّر عن مشاعر التّعاطف الوجدانيّ مع أهل البيت، وتكثّفت المرجعيّات الغنوصيّة والرّمزيّة، لتتحدّث عن ولاية الآل في الرّجعة، وتعبّر عن المتخيّل السّياسيّ. فما هي خصائص هذه المرحلة الرّمنيّة؟

2- الحكم في الرّجعة : رجعة الأنبياء والأئمّة:

تحدّث الباحثان الفرنسيّان لوسيان بوا (Lucien Bois) وجيلبار ديران (Gilbert Durand) عن الوجه السّياسيّ والرّمزيّ والأسطوريّ للمتخيّل[2]، ونلاحظ أنّ المتخيّل الشّيعيّ صاغ عالمه الغيبيّ السّياسيّ الرّمزيّ بالتّركيز على خطاب الشّرعيّة السّياسيّة، فاستدعى مادّة خبريّة تقوم على استبدال الزّمن التّاريخيّ بزمن غيبيّ متوقّع ومنتظر، يمثّل زمن الانتصار والتّغلّب على الملوك الظَّلَمَة، في ذلك الحين تزول دولة الباطل، ويحلّ الإمام المستتر، وتقام دولة الحقّ، فيضاعف الله الأجر ويُظهر الحقّ والعدل، ويُجمع الكلمة،

---

[1] راجع: ولاية الدولة ودولة الفقيه، ص ص12-13و33 وانظر محمد أركون، مفهوم السلطة في الفكر الإسلامي : 'لا حكم إلا لله' ، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد73/72، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص ص27-39.

[2]Lucien Bois, *Pour une histoire de l'imaginaire*, Paris, Les belles lettres, 1998, p-p.156-210 & Gilbert Durand, *L´imagination symbolique*, Paris, Coll. Quadrige, PUF, 2003, p-p. 115-130.

ويُؤلّف بين القلوب، فتزداد الحسنات وتتكثّف العبادات[1]. ويمكن أن نستجلي انطلاقا من هذا التّصوّر السّياسيّ الغنوصيّ الرّمزيّ أنّ الأخبار المذهبيّة عكست تاريخ تدوين العقائد والصّراع على السّلطة، وجسمت انفصال الوعي السّياسيّ عن الزّمن التّاريخيّ الحقيقيّ، وساد حلم بزمن آخر منتظر يجسّم ما يدور في مخيّلة المدوّنين ورواة الأخبار ومؤسّسي المذهب. إنّنا نلاحظ سعيهم لإرجاع زمن قدسيّ أسُّه المعارضة والانتصار للحقّ والمقدّس، فتُنقل الأخبار من مجال الوقائع التّاريخيّة والسّياسيّة إلى حيّز التّنبّؤات المذهبيّة والرّمزيّة وإلى سياق المتخيّل.

وما من شكّ في أنّ الرّواة عملوا على إضفاء الرّمز السّياسيّ الزّمنيّ على الواقعيّ والتّاريخيّ من خلال التّأويل لتأكيد ملك آل محمد، والإشارة إلى نهاية الزّمن المدنّس وحلول الدّين البديل والسّلطة الإلهيّة المقدّسة، فقد ورد في تفسير" **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** (غافر51/40)،"**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ**" (النمل83/27)، **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** (الأنبياء105/21)[2] ، أنّ الله منح آل محمد ملكا عظيما في الدّنيا وقبل قيام السّاعة ويوم الإشهاد، وأتاهم الإمامة دون خلق الله جميعا، مثلما أتى آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك، وجعل منهم الرّسل والأنبياء والأئمّة، فمن أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله. إنّ الله فرض على المؤمنين طاعة الرّسول وأولي الأمر وهم ذريّة عليّ من نسل الحسين، فكانت الطّاعة بمعنى الإيمان بالأئمّة وأتباعهم في أزمنة تاريخيّة وأخرى منتظرة يتحقّق فيها الانتصار على الظّلَمَة، وتأييد إلهيّ للأئمّة، وغدت الإمامة أو الولاية هي الملك العظيم والشّرف البليغ، ومثّلت طريقا لوراثة النّبوّة دينيّا وسياسيّا ورمزا لاستمرار نيابة الله، فقد أمر الله الأئمّة من آل البيت أن يؤدّي الإمام منهم إلى الإمام الذي بعده الكتب والعلم والسّلاح والأمانة، وتستمرّ الإمامة والقيادة، وتبرز قبل قيام السّاعة، عندما يرجع النّاس والأئمّة لينتقموا من أعداء الأئمّة، ويأتي قائم آل البيت، فيرث وأصحابه الأرض ومن عليها، فكان للمذهب الشّيعيّ زمن آخر للحكم والسلطة، مثلما هو الأمر عند النّصارى واليهود الذين يؤمنون بالرّجعة وينتظرون مخلّصا لينشر الدّين وينصف المظلومين[3].

---

[1] أصول الكافي، م1، ص ص195-196.

[2] تفسير القمي، م2، ص52 وص102و230. أصول الكافي، ص ص100-232.

[3] تفسير القمي، م2، ص52و230. معجم اللاهوت الكتابي،(مؤلف جماعي) المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1986، ص ص882-885.

إننا نتبيّن أن المتخيّل الدّيني[1] كان منطلقا لنموّ المخيال السّياسيّ ولتأسيس خطاب الشّرعيّة السّياسيّة في الإسلام الشّيعيّ، فانبنى المخيال السّياسيّ على مرجعيّة تاريخيّة ودينيّة ارتكزت على الإيمان بالشّرع الإلهيّ/القرآن والسّنّة، وعلى وجوب الاعتقاد في إمامة الأوصياء، وطاعة أولي الأمر، وهم محمّد وعليّ وآله، والحكم بالعدل، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. فالإمام هو المرجعيّة العليا في فهم العقيدة وأحكام الشّريعة، ثم انتقل خطاب الشّرعيّة من مرجعيّة تاريخيّة واقعيّة إلى مرجعيّة رمزيّة سياسيّة متخيّلة، تجسّم أبعادا نفسيّة واجتماعيّة وسياسيّة ومذهبيّة تدور في لاوعي المحدّث والمفسّر والرّاوي للأخبار. وتحوّل الخطاب من الدّعوة إلى الاستئناس بتجارب ومرجعيّات في الحكم تخصّ الأئمّة من ذرّية عليّ وفاطمة إلى مرجعيّة أخرويّة متخيّلة. فعندما طالت غيبة الإمام الثّاني عشر، استنبط المتكلّمون والفقهاء نظريّة الوكلاء الأربعة، وهم نوّاب الإمام الغائب لكسب شرعيّة دينيّة وسياسيّة، ولإثبات أنّ العالم لا يقوم دون إمام. وقامت مرجعيّة السّلطة الدّينيّة والسّياسيّة في التّصوّر الشّيعيّ الإماميّ الإثني عشريّ على معتقد يقول بإمامة الوليّ المعصوم ونيابته للرّسول وللذّات الإلهيّة. وطعن الشّيعة في شرعيّة كلّ خلافة ما لم تكن من ذريّة عليّ والحسين، هي الحاكميّة الإلهيّة التي يجسّمها أهل البيت في التّاريخ، فصار حكم الإمام/وليّ الله يشكّل امتدادا للنّبوّة، وأصبحت للإمام وظيفة دينيّة وسياسيّة في التّصوّر الإماميّ للسّلطة، فعدّد الأئمّة اثنا عشر إماما من ذريّة فاطمة وعليّ ومن سلالة الحسين، آخرهم مهديّهم أبو القاسم محمد المهديّ(255هـ – 260هـ)الذي غاب سنة 260هـ، فترك أربعة سفراء ينوبونه، وإثر هذه الغيبة امتنع الشّيعة عن إقامة دويلات شيعيّة، ثم بدأت الغيبة الكبرى سنة 329هـ، وقامت بعدها الدّولة البويهيّة سنة334هـ، ولم يمارس الشّيعة نشاطا سياسيّا كبيرا لأنّ الفقهاء حصروا شرعيّة السّلطة في الإمام المعصوم، ولا يمكن أن يوجد إمامان، واحد مختف والآخر في الأرض.وقد شهدت نظريّة السّلطة في الفقه السّياسيّ الشّيعيّ القديم تطوّرا أملاه الواقع السّياسيّ والاجتماعيّ، فاجتهد العلماء للدّفاع عن أحقيّة الملك والسّلطة، وخلقوا عقيدة الإمام الغائب، وتحدّثوا عن ولاية الأئمّة ثم عن الوكلاء الأربعة للإمام

[1] للإطلاع على المتخيل الديني ووظائفه يمكن العودة إلى مقال الأستاذ بسام الجمل "في المتخيل الديني": صدر ضمن كتاب: أعمال مهداة إلى الأستاذ عبد المجيد الشرفي، ط1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس،2014، ص ص287-312. وانظر: حمادي المسعودي، متخيل النصوص المقدسة في التراث العربي الإسلامي، ط1، دار المعرفة للنشر، 2007.

المهديّ، ثمّ شرّع المتكلّمون للحديث عن ولاية الفقهاء وعن الدّولة الدّينيّة المنتظرة وعن الظفر بالسلطة حينما يعود آل البيت وأتباعهم لنشر الشريعة[1].

إنّ المتأمّل في كتب التّفسير ومجاميع الحديث يدرك أنّ المخيال الشّيعيّ غذّى الفكر السّياسيّ، فانبنى التّفكير على تصوّر يثبت الملك لآل البيت في الرّجعة. والرّجعة معتقد سياسيّ وديني يؤكّد السّلطة قبيل فناء العالم، فهي ليست القيامة التي يحشر الله أثناءها جميع المخلوقات[2]، ولذلك لا تخلو هذه الأفكار والرّوايات من طابع أسطوريّ إيديولوجيّ يدعم السّلطة في آل الرّسول، ويدلّ على تأثّر الفكر الشّيعيّ بمقولات مغالية في الدّيانات الكتابيّة تقول بالملك السّياسيّ وعودة الدّين وانتصار المظلومين، فيعود النّبيّ وعليّ والأئمّة، ويرجع أتباع آل البيت كما يعود الظَّلَمَةُ وأتباعُهم، وينتقم الشّيعة من أعدائهم وظالميهم وينتصرون عليهم، ويكون لهم ملك وحكم قبل قيام السّاعة. ولا نستبعد أن تكون هذه الأخبار نشأت لتشحذ عزائم أتباع آل محمّد وتعزيّتهم وتدفعهم إلى التّمسّك بآل البيت، ولتطعن في شرعيّة حكم الآخرين وتبطل معتقداتهم وتحرض الناس عليهم[3]، فاعتمد هذا الخطاب التّخييليّ الأسطورة وسيلة تعبير رمزيّة عن عدّة أفكار تضخّم الأئمّة وتؤمن بالرّجعة، لأنّ الأسطورة نظام تفكير يجسّم مشاعر النّاس وتطلّعاتهم وأداة تفسير للظّواهر عصيّة الفهم كما ذهب إلى ذلك **ليفي شتراوس** (Claude Lévi-Strauss) (1908-2009م)[4].

ونعتقد أنّ الفكر الإماميّ ظلّ يبحث عن شرعيّة سياسيّة مفقودة، فتخيّلها أو توقّعها في المستقبل، لذلك تأتي الأخبار والتّأويلات لتعبّر عمّا يسكن هواجس أهل المذهب، وصيّر المتخيّل السّياسيّ ما كان تاريخيّا وسياسيّا، وشمل الأحداث والشّخصيّات والملك والسّياسة مسائل أصوليّة ورموزا دينيّة وسياسيّة، ونقل الوقائع التّاريخيّة والسّياسيّة المشتركة إلى مجال المذهبيّة، وبحث عن خطاب الشّرعيّة، وحوّل الوعي

---

[1] نظرية السلطة في الفقه السياسي الشيعي المعاصر، ص ص116-119.راجع سعيد بن سعيد العلوي، خطاب الشرعية في الإسلام السني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص ص 14-36. وسهام الدبابي الميساوي، إسلام الساسة، ط1، رابطة العقلانيين العرب، دار الطليعة بيروت – لبنان ، 2008، ص ص 16-53.

[2] البرهان في تفسير القرآن، م6، ص36.

[3] محمد بن مرتضى الملقب بالفيض الكاشاني، كتاب الصافي في تفسير القرآن، ط1، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1419 هـ، م6، ص390 و408. وراجع البرهان في تفسير القرآن، م6، ص38:" عن الأصبغ بن نباتة قال" قال لي معاوية: يا معشر الشيعة، تزعمون أن عليا دابة الأرض؟ ، فقلت نحن نقوله، واليهود يقولون.قال: فأرسل إلى رأس الجالوت، فقال له : ويحك، تجدون دابة الأرض عندكم مكتوبة؟ فقال: نعم ، فقال : ماهي؟ فقال: رجُل. فقال أتدري ما اسمه؟ قال: نعم، اسمه إيليا. قال : فالتفت إليّ، فقال: ويحك – يا أصبغ – ما أقرب إيليا من علي! ".

[4] C. Lévi-Strauss, *Anthropologie structurale*, Paris, Plon, 1974, p. 228.

الجمعيّ من مجال الواقع والتّاريخ إلى حقل المعتقد المذهبيّ والمتخيّل الرمزيّ، وصارت كلّ عناصر الأخبار علامات رمزيّة تعبّر عن مرجعيّات السّلطة، وانتقلت من المرجعيّة التّاريخيّة الواقعيّة إلى مرجعيّة رمزيّة ومتخيّلة. وتحوّل المجال المدنّس إلى مجال مقدّس وإلى فضاء مليء بالعجيب والغريب، وغدا للمقدّس رموزه التي تشمل الأمكنة والأزمنة والشّخصيّات والأحداث.

لقد ورد في تأويل (النّمل82/27) و (القصص85/28) أنّ النّبيّ والأئمّة وبعض الشّيعة والكافرين بالولاية يرجعون في آخر الزّمان، ويرجع عليّ بن أبي طالب– المسمّى في القرآن بـ"دابّة الأرض"– ومعه ميسم، يسم به أعداءهُ: "**تخرج دابّة الأرض ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان بن داود، تجلو وجه المؤمن بعصا موسى، وتسم وجه الكافر بخاتم سليمان**" وعن عليّ: "**وإنّي لصاحب الكرّات ودولة الدّول..والدّابة التي تكلّم النّاس**"[1].

ويلحظ الناظر في أخبار نهاية الكون أنّها جمعت عدّة مرجعيّات سياسيّة خياليّة ورمزيّة منقولة عن ثقافات متنوّعة سابقة للإسلام، عربيّة وفارسيّة وكتابيّة، وتشير إلى حدوث فتن وظهور رايات سوداء وفرسان، فيشتدّ القتال، ويحدث خسف وقذف ودمار وموت وفتوحات في عدّة أمكنة وأزمنة مقدّسة مثل المدينة و الصّفا والمروة والمقام والكوفة، ويجتمع الشمس والقمر، وتخرج دابّة الأرض. وقد ورد في تأويل (البقرة193/2) و(الأنفال8/8) أنّ عدّة جيوش تلتقي للقتال في آخر الأزمنة، فيخرج السّفيانيّ وجيشه و"جيش آل بني فلان" ويظهر المهديّ قائم آل محمد، وهو الإمام الحادي عشر من ولد عليّ، فيملأ الأرض عدلا وقسطا، ويقتل الظّلمة أولاد قتلة الحسين، وينتقم لآل البيت. وتذكر الأخبار أنّ القائم وأتباع آل البيت يجاهدون في سبيل الله، فيقتلون الكفارَ وأعداء الأئمّة ويرجمونهم بالحجارة . يبدأ القائم ببني شيبة، فيزول الظّلم، وينتصر آل محمد على بني أميّة. ويلتقي عليّ وأصحابه و إبليس أصحابه بالفرات، فيقتتلون ويذبح النّبيُ إبليس . وينزّل الرّبّ والملائكة في ظلل من الغمام، فينصرون أولياء الله ومحبيهم. ويحقّق القائم ملكا سياسيّا، ففي ذلك الزمن "**سَوفَ يَأتِي اللهُ بِقَومٍ يُحبّهُم ويُحِبّونَهُ**"(المائدة54/5) و "**إنّ أهل الشّام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: الأصهب والأبقع والسّفيانيّ مع بني ذنب الحمار مضر...ومع السّفيانيّ أخواله من كلب، فيظهر السّفيانيّ ومن معه على بني ذنب الحمار حتى يقتلوا قتلا...، فيصاب (السّفياني)بأناس من شيعة آل محمّد بالكوفة**

[1] البرهان في تفسير القرآن، م6، ص35 وص38.النمل82/27:"أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ".القصص85/28:"إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ".

قتلا وصلبا..."[1] و"**تنزل الرّايات السّود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهديّ (ع) بعث إليه بالبيعة**"[2]. وتثبت هذه الأخبار والتّأويلات أنّ خطاب الشّرعيّة السّياسيّة تأسّس على مرجعيّات متخيّلة ورمزيّة، فتميّزت اللّغة الدّينيّة في التّفاسير وأحاديث الفتن والسّياسة بهيمنة سياقات التّهديد والتّرهيب والإخبار بالغيب والقتل وانتشار الرّايات السّوداء المعبّرة عن الرّغبة في الثّأر والانتقام والانتصار والحزن، وقد ارتبط اللّون الأسود بقيمة الشّجاعة السّياسيّة والقيادة والنّبوّة، ذلك أنّ الرّسول كان يرتدي ألبسة سوداء أحيانا[3].

ويتراءى لنا من خلال أحاديث التّنصيب السّياسيّ أنّ إقامة الدّولة كانت معتقدا قائما وأمرا متوقّعا في زمن غيبيّ مقدّس عند رجوع المهديّ/ القائم، فقد ورد في بعض الأخبار: "**إنّ دولة أهل بيت نبيّكم في آخر الزّمان ولها إمارات**"[4] ، وروى أبو جعفر(محمد الباقر: ت114هـ): "**دولتنا آخر الدّول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلاّ يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذ ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجلّ 'والعاقبة للمتّقين** "[5].

وجاء في حديث آخر أنّ الإمام القائم يملّك " **سبع سنين يكون سبعين سنة من سنيّكم هذه** " و"**يملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا، ويفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل النّاس حتّى لا يبقى إلاّ دين محمّد (ص)، يسير بسيرة سليمان بن داود**"[6].

واللاّفت للنّظر أنّ هذا التّعريف للدّولة لا يدّل على مفهومها المدنيّ الذي يضّم الحاكم والشّعب في حيّز جغرافيّ محدّد، وإنما هي دولة دينيّة منتظرة لم يحقّقها الواقع السّياسيّ للمؤمنين، ويجسّمها العنف السّياسيّ المقدّس، وتمثّل سلطة رمزيّة وسياسيّة تظهر في أزمنة وأمكنة عجيبة ومتنوّعة، ونرى أنّ الكثير من هذه المعتقدات حول الدّولة المنتظرة وحكّامها تماثل ما رُوي في الكتاب المقدس عن حُكم "يهوه" ومُلك

---

[1] تفسير العياشي، م1،ص83، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، كتاب الغيبة، ط2، مطبعة النعمان، النجف، 1964، ص ص 258-286.

[2] تفسير العياشي، م1،ص83-85.البرهان في تفسير القرآن،م2، ص 64.وم3، ص288 وم4، ص390، تفسير القمي، م1، ص177.أصول الكافي، م1، ص198.

[3] Malek Chebel, *Dictionnaire des symboles musulmans*, Paris, Albin Michel, 1995, p. 124.

[4] كتاب الغيبة، ص278.

[5] كتاب الغيبة، ص282.

[6] كتاب الغيبة، ص283.

أنبياء بني إسرائيل الذين يملكون في أماكن مختلفة، ويحكمون لسنوات طويلة، وينعمون بدعم إلهيّ يعرف بـ« ملكوت الله» [1]، فقد أثبتت عدّة تنبّؤات ورؤى أنّ الله يجمع الشّيعة من جميع البلدان عندما يقوم القائم، وتحدث معارك وصراعات وحروب وبطولات وتتقاتل الجيوش، ولن يبقى إلا أتباع آل محمّد وأنصار القائم والحسين. ويعبّر هذا التّصوّر للدّولة عن رغبة جامحة في تحقيق الملك الدّنيويّ، ويمثّل تجسيما للمعارك التي دارت بين السّنّة وأنصار الشّيعة والخوارج، لأنّهم كانوا من الأحزاب المعارضة في التّاريخ الإسلاميّ، ولذلك اقترن مفهوم الدّولة في المتخيّل السّياسيّ الشّيعيّ بمعاني الأمل والانتصار والحلم بتأسيس فضاء جغرافيّ شاسع يبسط فيه الشيعة نفوذهم، ويحققون فتوحات وانتصارات، فساهم الرّواة في تكوين مفاهيم نظريّة تخصّ أزمنة الحكم وطرائق بلوغها تُماثل معتقدات أهل الكتاب حول الدّولة المنتظرة وظنّهم بمجيء مخلّص ينصر المظلومين، واعتقادهم بتأسيس دولة الحقّ/الخلافة ومملكة بني إسرائيل، فيجري الله القيامة الأولى حتّى يظهر الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع وكلمة الله، فيعيشون مع المسيح: «**مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبّ الأَرْبَابِ**» ويملكون ألف سنة، وتصير ممالك العالم للرّبّ ومسيحه، "**فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ**»[2].

يكشف هذا التّمثّل للدّولة عن الرّغبة في تحقيق ملك سياسيّ دنيويّ، فلا شكّ أنّ هذا الفهم/التّأويل يسعى إلى إلباس القرآن بمعانيَ لاحقة لزمن النّزول، ويبرز تأثّر الرّواة بعصر التّدوين وما جدّ فيه من صراعات إيديولوجيّة على السّلطة. وتحيل أفعال القتل والضّرب والتّشريد والجري والهروب من مكان إلى آخر في أماكن شاسعة مثل "البيداء" و"الكعبة" و"الكوفة" على تداخل المتخيّل الدّينيّ والسّياسيّ والرّمزيّ لمفهوم الحكم، ويعبّر عن الرّغبة في إعادة السّيادة والسّلطة السّياسيّة والدّينيّة المسلوبة واحتلال أكبر مساحة من الأرض، ويرسم بطولات متّبعي المذهب، فتستدعي خطابات الشّرعيّة السّياسيّة الرّمز والأسطورة والخيال، وتستفيد من الإسرائيليّات ومن ثقافات شعبيّة ووثنيّة وكتابيّة، فتحيل الأمكنة على وقائع تاريخيّة مثل مقتل الحسين وصراع عليّ ومعاوية وعائشة. وتدلّ الحروب المتوّقعة واحتدام القتال في الأزمنة المقدّسة على الاعتقاد بأنّ آل محمّد سيستعيدون الحكم ويقودون الدّولة المنتظرة، فسينتقم أهل المذهب من أعدائهم التاريخيّين . ونلمس في هذه الأخبار الأسطوريّة العجيبة تماثلا بين الفكر السّنّيّ والشّيعيّ في عرض أمور الآخرة مثل الكلام على الفتن والملاحم والدّجّالين وعودة الإسلام غريبا واستمراره إلى يوم القيامة، والسّيطرة على المال والفضاءات المكانيّة، فمثّلت الأخبار استرجاعا لحوادث تاريخيّة واقعيّة بأسلوب يتميّز بطابع خرافي عجيب يظهر من خلالها كلّ طرف تفوّقه

[1] الكتاب المقدس:مزمور39:89-46،حزقيال34:11، معجم اللاهوت الكتابي،ص770-774.

[2] رؤيا يوحنا اللاهوتي الأصحاح 11، 15 و الأصحاح19، 15 والأصحاح20، 4. مرقس11، 10.

على الآخر، وكشفت عن وجه من وجوه المتخيّل السّياسيّ والجغرافيّ الإسلاميّ الذي نهل من الثّقافة الشّعبيّة لتشكيل العقل الجمعيّ ورسم الأحلام والتّطلّعات[1].

ونعتقد أنّ هذه الأخبار تكشف أنّ الفقه السّياسيّ القديم/قبل القرن العاشر كان مبعثرا في ثنايا كتب التّفسير والحديث والفرق، ويدعو إلى دولة دينيّة يحكمها الإمام الغائب ومن ينوبه من الفقهاء، ولا تستند المشروعيّة فيها إلى الشّعب والانتخاب ومبدإ الاختيار والشّورى والدّستور، وإنّما إلى سلطة وليّ الله، ويظهر فيها المهديّ قائدا سياسيّا ودينيّا، يجمع السّلطات الرّوحيّة والزّمنيّة والدّينيّة والسّياسيّة. ونرى أنّ مفاهيم"الحكم" و"الدّولة" و"الولاية" لم تنشأ لإرساء مؤسّسات تنظيميّة داخل الدّولة تعتبر المؤمنين عنصرا فاعلا في الحكم وشريكا في اتّخاذ القرار، بل جاءت لتكريس سلطة الإمام، لأنّ مفهوم الدّولة تأسّس على السّلطة الدّينيّة للإمام/ولي الله، وعلى الحكم الإلهيّ. ولم يتحدّث الفقهاء والرّواة والمفسّرون عن حقوق الرّعيّة والدّولة بمعناها المؤسّساتيّ وعن وجوب متابعة الوليّ والإمام والخليفة ومراقبته، بل رسّخت الأحاديث والتّفاسير هيمنة الوليّ وضرورة الإجماع عليه، وحرّمت الخروج عن سلطة الجماعة أو المذهب وشخصيّاته المفارقة للبشر وحكمهم الإلهيّ.

وقد جاء تأويل عليّ بـ"دابّة الأرض" والمخالفين بـ"أئمّة الضّلال والنّفاق والجور"، وأطنبت الأخبار في الحديث عن العلامات الغريبة السّابقة للسّاعة مثل يأجوج ومأجوج، وأمعنت في تقديم وصف خرافيّ للمكان والزّمان لتحقيق الفردوس المفقود والملك المنشود.وقد استدعى الخطاب الأخرويّ كائنات أسطورية شبيهة بأبطال الخرافات والحكايات العجيبة، فتحدثت الروايات عن مجيء مخلّص هو المهديّ أو الرّبّ وعن ظهور القائم، ودعت إلى الاعتقاد بالإمام الغائب، ووصفت إنكار الإمام بالجاهليّة، وأشارت إلى أنّ الإمام المخلّص ومن معه من المقاتلين أبطال حضاريّون يقيمون دولة منتظرة، اصطفاهم الله وأيّدهم لنصرته، وسخّر لهم قدرات سياسيّة عجيبة، وجعلهم يضحّون بأنفسهم وينتقمون انتقاما شديدا من الخصوم السّياسيّين لآل بيت النّبيّ، فتسيل دماء المقاتلين، ويحقّقون الشّهادة أو الموت المقدّس الذي يرمز إلى الحقّ السّياسيّ.

ونستجلي من هذه الأخبار أنّ المخيال الشّيعيّ أعاد إنتاج المعاني السّياسيّة والوقائع التّاريخيّة وتركيبها لخدمة المذهب والتشريع للدولة المنتظرة، ورسم المستقبل السّياسيّ للشّيعة وتاريخهم المقدّس،

[1] تفسير العياشي، م1، ص83-85 و م2، ص ص54و63 . البرهان في تفسير القرآن، م2 ، ص 64 و71 و474.وم3، ص122و130و288 و317-322 و364وم4،ص390، التوبة3/9. تفسير القمي،م1، ص177. أصول الكافي، م1، ص198. صحيح مسلم، أحاديث الفتن، حديث 2900، 2897،2896، 2899، 2902.

وتلك هي وظيفة المتخيّل في نظر **جيلبار دوران** (Gilbert Durand) فضلا عن كونه يحمل رؤية سياسيّة ودينيّة وتاريخيّة، فيوظّفها توظيفا إيديولوجيّا[1].

على هذا النّحو، إذن نرى أنّ الأخبار السّياسيّة الإيديولوجيّة تنسج زمنا أسطوريّا مقدّسا منتظرا ومطلقا وغير تاريخيّ بدل الزّمن الدّنيويّ المشوب بالقهر، لأنّ الأسطورة على حدّ رأي **إدغار موران** (Morin Edgar) تحكي تاريخا مقدّسا وتتدخّل بحيويّة في التّاريخ باستدعاء المقدّس والعجيب وإثارة غايات/ إيديولوجيّات قويّة كالمخلّص والزّمن المفارق للتّاريخ والأبطال والشّهداء والتّعذيب والفداء بالنّفس، وتسخّر الأسطورة لتحقيق مآرب مختلفة ونشر التّعصّب[2].

ويحيل هذا الزّمن على التّصوّر الدّوريّ للتّاريخ أو الصّيرورة التّاريخيّة في تصوّر المسلمين للتّاريخ/الزّمن، فتنشأ الأمم والدّول ثم تزول، وتتحوّل من حال إلى حال، لأنّها ضرورة طبيعيّة، وهي نظريّة قديمة جاهليّة تؤمن بالعصبيّة البديلة، وذلك بأفول حضارة ومجموعة حاكمة وحلول أخرى، وترى أنّ الموت هو نهاية مرحلة تاريخيّة وبداية فترة جديدة، فتحلّ فوضى وحروب وترتسم صور مشوّهة للحياة والتّاريخ في آخر الزّمن. ونعتقد أنّ جملة هذه الأخبار والفتن تؤكّد أنّ الدّين يحتاج إلى عصبيّة تدعمه تقوم على المتوقّع والعجيب والحلم بالحكم في المستقبل، فيمتزج في خطاب السّلطة المتعلّق بالآخرة الكثير من الأخبار التي لها زمن سياسيّ مطلق مع أحداث/ وقائع ليس لها زمان، وتستدعي أحداث أخرى الزّمن التّاريخيّ، ونستخلص منها أنّ وعي الرّواة والمتكلّمين والمفسّرين يسكنه زمن الغيب بدل زمن التّاريخ، فكأنّنا باللاّوعي يكشف رغبتهم في إحياء زمن الوحي وإعادته، وهو زمن الانتصارات والفتوحات، أو الزّمن التّاريخي الذّهبيّ، فيسعى هؤلاء إلى التّخلّص من الزّمن الدّنيويّ المشوب بالقهر والحرمان من إقامة الدّولة ومن هيمنة أزمنة حقيقيّة وأمكنة جغرافيّة واقعيّة وتحلّ مكانها أزمنة وأمكنة متخيّلة ووهميّة[3].

---

[1] Gilbert Durand, *Les structures anthropologiques de l'imaginaire*, Paris, PUF, 1984, p-p. 64-65.

وانظر: البرهان في تفسير القرآن ، م2، ص257.

[2] إدغار موران، النهج، إنسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، ط1، دار كلمة، أبو ظبي، 2009، ص ص53 و254-257.

[3] راجع : رضوان سليم، نظام الزمان العربي دراسة في التاريخيات العربية-الإسلامية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، 2006، ص ص175-193.

لقد صار الرّمز هدفا للمشروع السّياسيّ، بهدم مواضع ومعالم وقتال شخصيّات وفتح أماكن أخرى وتطهيرها لتكون مناسبة لحكم الدّولة المنتظرة وتهيّئ للإمام القادم. فتعمّق المخيال السّياسيّ في سرد الأخبار التي تمثّل تعبيرا رمزيّا عن اللاّوعي وعن الأحلام، وتكوّن بمرجعيّاتها السّياسيّة المختلفة شكلا من أشكال التّنازع على السّيادة، وتعبّر عن رغبة في إعادة التّوزيع المكانيّ وعن الجدل عبر آليّة التّأويل.

إنّ هذا التّأسيس للسّلطة قام على فكرة العنف الدّينيّ، باستدعاء قوى ووقائع عنيفة لتسويغ شرعيّة الحكم وتأكيد قوّة الدّولة المنتظرة. وشكّل هذا الفهم للسّلطة مثالا من صور المتوقّع السّياسيّ، وأنموذجا عن صورة الحاكم للأمّة في أزمنة تاريخيّة وأخرى متوقّعة وأزمنة عجيبة مفارقة. فقد تولّدت معان سياسيّة وصور رمزيّة جديدة عبر تأويل النّصّ الدّينيّ وإغنائه بروايات وأحاديث تدعم أحقيّة السّلطة في ذريّة عليّ، ممّا يجعل التّأويل –وهو التّفسير الجديد– مسألة إيديولوجيّة، وتمثّل استرجاعا لوقائع وشخصيّات ماضية وإشارة إلى المتوقّع والمنتظر من أحداث تجسّمها الرّؤى والأحلام.

لقد سمح التّأويل للرّواة بتجاوز الظّاهر السّياسيّ والنّفاذ إلى الباطن والمتوقّع الذي ينتظر التّحقّق مستقبلا، فتصبح الأخبار والتّأويلات سلطة مرجعيّة مقدّسة ذات قوّة، ويجعل التّأويل الإمامة فكرة سياسيّة نضاليّة تؤكّد الحاجة إلى إمام من أئمّة أهل البيت في كلّ الأزمنة لأنّ العالم لا يستقيم دون إمام في الدّنيا والآخرة، و بيّن الرواة أنّ الدولة المنتظرة هي دولة الولاية أو الإمام الشرعي.

إنّنا نتبيّن من خلال الروايات المتعلّقة بالملك في الأيّام السّابقة للسّاعة أنّ الرّوّاة أنشؤوا خطابا سياسيّا شيعيّا متعدّد المرجعيّات، اعتمد أصحابه التّأويل والرّمز والاحتجاج، واستندت الأخبار فيه إلى صور نفسيّة واجتماعيّة متخيّلة لكسب شرعيّة الولاية وأحقيّة السّلطة والإقناع بولاية آل البيت وتأكيد فضل عليّ وذريّته على سائر الصّحابة ومن نازعه الأمر مثل أبي بكر ومعاوية وعائشة.

وهدفت الأخبار إلى نسف شرعيّة ولاية الخلفاء الرّاشدين والأمويّين والعباسيّين، وعمل الرّواة على البحث عن العصبيّة والقوّة ومستلزمات الشّرعيّة عند الأئمّة مثل الاصطفاء وحسن التّدبير والقوّة ورباطة الجأش وعلى خلق زمن آخر للسّلطة، فيأتي زمان لا يشبه الماضي يعبّر عن حلمهم بالسّلطة والملك وبسط نفوذهم على كلّ مكان مقدّس، في دولة الإمام القائم. فتأسّس خطاب متعدّد المرجعيّات نزع إلى نيل السّلطة واجتثاث الحكم السّنّيّ الأمويّ والعبّاسيّ، وهدف إلى خلق قوّة تأثيريّة نفسيّة واجتماعيّة وسياسيّة تقوم على الرّمز والحديث عنها باسم المقدّس، وتأسّست على تعظيم قدرات الأشخاص وقداسة الأمكنة والأزمنة وعظمة الوقائع والاستيلاء على أماكن العبادة والسّيادة والسّلطة وعناصر المقدّس.

وقد تكتسب الدّولة المنتظرة قوّتها من سيطرتها على المكان وتحقيق الامتداد على مساحات شاسعة، وتتعزّز شرعيّتها بحضور قوى غيبيّة وكائنات مفارقة تدعم أئمّتها وجيوشها لتكسبها هالة من القداسة والقوّة والنّفوذ. واندفع الرّواة لتأكيد شرعيّة السّلطة ودحض حكم المخالفين وذلك باستدعاء خطابات رمزيّة متخيّلة تتحدّث عن الملك بعد القيامة، فما خصائص هذه المرحلة ؟

3– الملك في الآخرة :

تأسّس التّفكير الدّينيّ الشّيعي على مفهوم السّلطة والولاية، وامتزجت العقائد الإماميّة بتصوّرات جاهليّة ووثنيّة وكتابيّة مغالية، نراها ضربا من التّأويلات التي تستبطن الصّراع بين الأجيال الإسلاميّة الأولى وتعكس تنافسهم على السّلطة، وتعبّر عن الرّغبة في وراثة النّبيّ قبل قيام السّاعة وسيادة الكون في زمن المعاد، فينتصر الشّيعة والمظلومون على أهل السّنّة وعلى من خالفهم في الزّمن التّاريخيّ الأرضيّ. ثم يكون الفوز والنّفوذ في العالم الأخرويّ. ولا مراء في أنّ هذه الأحاديث والتّصوّرات الدّينيّة والسّياسيّة تجسّم مظهرا من مظاهر البحث عن رضاء الرّبّ وغفرانه، وتضمر خطابا تكفيريّا، يؤمن بالحقيقة الواحدة، وبأنّ السّلطة ميراث وتتويج في الزّمن الأخرويّ، ونعتقد أنّ هذا الخطاب التّكفيريّ فعل سياسيّ برز في ثوب دينيّ ليؤكّد استمرار ملك الأئمّة وبروز دولة الحقّ في الآخرة. ذلك أنّ الأخبار تنصّ على أنّ الأئمّة ملوك في الرّجعة والآخرة وفي الجنّة والنّار، يحملون مقاليد الحكم، ويمثّلون رمز القوّة والسّيادة والسّلطة، انطلاقا من عدّة صفات وأشياء يملكونها ويتحلّون بها[1]، ممّا يدعم الاعتقاد بأنّ ملك الأئمّة كان أمرا إلهيّا وأنّ حكمهم في الدّنيا ونيابتهم لله شريعة مفروضة، وأنّهم الملوك الصّالحون والحقيقيّون الذين اختارهم الله لتمثيله وليكونوا حججه على عباده، وخاصّته ونوّاب أنبيائه، وورثة علمه وسلاحه، وهم أئمّة الحقّ والعدل وقادة الأمّة وهداتها، أمّا من ملك من غير تعيين دون الإمامة الإلهيّة فملكه باطل وعمله زائف، وهو مضلّ للنّاس وإمام جور وغواية.

إنّ مختلف هذه الأخبار تثبت لنا التّوظيف السّياسيّ للقرآن وللمقدّس عموما، لقد هدفت إلى احتكار السّلطة وأكّدت التّنافس على ولاية الأمر باسم الإسلام والرّغبة في إسباغ لون من القداسة على حكم الأئمّة وعلى شرعيّة الإمامة، وعملت على نسف شرعيّة حكم أئمّة السّنّة وغيرهم من أهل المذاهب وأتباع الملل الأخرى، فبات حكم الخلفاء الرّاشدين والأمويّين والعبّاسيّين دنيويًا مدنّسًا لا يستمدّ مشروعيّته من الذّات الإلهيّة لأنّه يقوم على افتكاك السّلطة لا على التّعيين والاصطفاء، لذلك نزعت

[1] البرهان في تفسير القرآن، م2، ص 420.

عنهم الرّوايات شرعيّة السّلطة والقوّة، وأبطلت أهليّة حكمهم ورفعة منزلتهم ، وجرّدتهم من أية مهمة في الآخرة.

وتكشف أخبار الآخرة المظاهر الرّمزيّة للسّلطة من خلال توظيف عناصر المقدّس التي تشمل الأحداث والأشياء والشّخصيّات والصّفات، فكان عليٌّ أوّل السّابقين، تنشقّ عليه الأرض بعد النّبيّ، وقسيم الجنّة والنّار، يُسلّمه الرّسول لواءً أبيض من نور، ويجمع تحته جميع السّابقين، ثم يجلس على منبر من نور، ويُعرض عليه جميع البشر، فيجازيهم على أعمالهم. والواضح أنّ أهل البيت اضطلعوا بعدّة مسؤوليّات في الآخرة، وأنّ الذّاكرة الشّيعيّة تجلسهم في منازل عالية حذو الرّبّ للقيام بمهامّ جزائيّة ورقابيّة والانتقام لأنفسهم وردّ الاعتبار لمكانتهم وهيبتهم المسلوبة في الدّنيا، فيكونون حكّاما وقادة بين أيدي الله، يأمرون، ويحاسبون، ويشرفون على مقاليد السّلطة الدّينيّة والجزائيّة، وتجعلهم الأخبار يحملون أدوات القوّة والنصر مثل اللّواء، ومن نافلة القول أنّ هذا اللّواء مأخوذ من العالم الدّنيويّ الأرضيّ الذي يحيل على الحروب بين المسلمين، ولكنّه ظلّ عالقا بذهنيّة الرّوّاة والمحدّثين، فأضحى من الأشياء الرّمزيّة المقدّسة، يحيل على السّبق والنّصر والقيادة وتحمّل المسؤوليّة في الآخرة، ويرمز اللّون الأبيض إلى القداسة والطّهارة وهو لون له تعبير اجتماعيّ بشريّ، لكنّ رمزيّته الأرضيّة انتقلت إلى العالم الأخرويّ، ويدلّ النّور على الإمامة والحياة والأمل، وأمّا المنبر فيحيل على الإمامة والقيادة العليا للمسلمين، فتكشف رمزيّة المكان والأشياء والألوان على أحقيّة السّلطة ومرجعيّاتها المتخيّلة والغيبيّة[1]، ومنحت الرّوايات الأئمّة مهمّة فضل الشّهادة على النّاس، ومكّنتهم من سلطة غيبيّة منتظرة، فتعرض عليهم الأعمال، ولاشكّ أنّ هذا الفكر له جذور تاريخيّة جاهليّة تؤمن بعودة الحياة بعد الموت، وبتحقيق ملك أخرويّ في الجنّة والنّار، وتمنح القادة والأبطال مهمّة خلاصيّة وقياديّة في أزمنة خالدة ومقدّسة[2].

ويستأثر اهتمام النّاظر في هذا الخطاب الخاصّ بالآخرة تأويل سياسيّ لعدّة عبارات وأشياء تشمل المعاد والحساب والعقاب والجنّة والنّار لإثبات الحكم والمنزلة المشرّفة لأئمّة آل البيت في عالم السّماوات وإبراز مساهمتهم في الجزاء، وتأكيد الملك في أزمنة مفارقة وأمكنة مقدّسة في الجنّة، فيعتمد الرّوّاة التّأويل والتّضخيم والحجاج، والرّمز، والتّرهيب، والتّخييل. وترصد الأخبار منزلة آل محمّد وخصائص الملك، ونستدلّ على وجاهة هذا الرّأي من خلال ما جاء في تأويل (الإنسان21/76) و (مريم85/19)، ذلك أنّ المفسّرين أوردوا أنّ أهل البيت يخرجون من قبورهم بيض الوجوه والثّياب، فتستقبلهم الملائكة بنوق

[1] M. Chebel, « Couleur, le blanc, le noir » *In Dictionnaire des symboles musulmans*, p-p. 122-124 ; « Minbar », p. 270.

[2] أصول الكافي، ص126.البرهان، م3 ص ص170-174وم4، ص ص 471، 516، 326 وم7، ص441 و452. كتاب الصافي في تفسير القرآن ، م6، ص510. تفسير القمي، م 2 ، ص320.

موشّاة بالياقوت والجواهر والذّهب والأرجوان والسّندس والزّبرجد، وتقودهم إلى المحشر. وتحملهم ملوك إلى الجنّة وتسقيهم من عين جارية لتحقّق لهم الطّهارة والخلد[1]. فأكسبتهم الرّوايات والتّأويلات القرآنيّة صفات العصمة والقداسة والرّيادة والعظمة والقوّة، ومنحتهم الثّراء الماديّ والقدرة على الانتقام والقتل، ونرى أنّ أغلب هذه الخصال كثيرا ما تواترت عند الحديث عن ملوك الأرض وأبطالها وقادتها مثل فرعون وهرقل وكسرى وملوك فارس، ولم تكن من ميزات القيادة النّبويّة ولا من سمات الأنبياء ومهامّهم[2].

لقد وسّع المتخيّل الأفق السّياسيّ، وشخّص عناصر الملك وأنواع الثّواب وضخّمها، وعوّض ما هو مفقود، وحقّق رغبات أتباع المذهب، فقد أمعنت الرّوايات في وصف ما رصد للشّيعة من نعيم الملك المعنويّ والماديّ، وعبّر المخيال الشّيعيّ عن رفعة منزلتهم وجمال سيرتهم، وتوق المتديّنين الشّيعة إلى السّعادة والمال، فقد منح الله أولياءه وملوك الجنّة والنّار من أئمة آل البيت وشيعتهم خصال الملوك مثل القوّة والثّراء والرّفعة، وبنى لهم غرفا بالدّرّ والياقوت والزّبرجد والذّهب والفضّة والدّيباج والحرير والكافور والعنبر والمسك، وأعطاهم الكنوز والفُرش المرفوعة والخدّام وحور العين ومنازل عطرة بهيّة. وسخّر لهم سلطة دينيّة وسياسيّة ونفوذا واسعا يكشف عن نوايا الرّواة للإقناع بسلطانهم الذي حرموا منه في الدّنيا[3].

وبدا واضحا أنّ الرّواة وظّفوا النّصّ القرآنيّ وما احتواه من معلومات عن الجنّة والنّار لإظهار منزلة آل البيت القياديّة والمشرّفة زمن البعث، فشكّل خطاب الآخرة المتعلّق بالسّلطة دعوة إلى وجوب اتّباعهم قادة لأئمّة المسلمين، وعبّرت المعتقدات عن تدخّل إرادة الله في المجال السّياسيّ بما يجب تحقيقه في المستقبل وبمن سيكون الفوز، ولمن سيكون السّلطان والنعيم والحكم في الآخرة، والظّفر بسلطة مقدّسة تستدعي إرادة الله. وقد جسّمت هذه الآمال والتّطلّعات الأخرويّة الإيديولوجيا السّياسيّة والسّلطانيّة التي يتماثل فيها الملوك والأئمّة مع الله، ورسمت معالم الدولة الدينية الشيعية. ولا شكّ أنّ الفكر الشّيعيّ يستقي تصوّراته من مرجعيّة قديمة، يستعير أفكارها وصورها ورموزها ويعيد تأويلها لخلق إيديولوجيا شيعيّة سياسيّة جديدة ، فيستغلّ صورة الأبطال والملوك الذين ينعمون بالمال والجاه، وأصحاب السّلطة والنّفوذ لتأكيد قيمة آل البيت. لقد نقلت الأخبار أنّ القادة الرّومان وقادة الشّعوب الأخرى ينعمون بالذّهب والخدم والحشم والثّراء ورفعة المنزلة، ونالوا ملكا عظيما، وتمكّنوا من الخلود في الآخرة، فجمعوا بين السّلطة

[1] تفسير القمي، م2، ص ص28-31و390-391. البرهان في تفسير القرآن، م2، ص ص91 و137.

[2] صحيح مسلم، حديث 2889.

[3] كتاب الصافي، م6، ص 132، تفسير القمي، م2، ص327، البرهان، م5، ص ص140- 145.

السّياسيّة والنّفوذ الدّينيّ[1]، وظلّ أتباع الأئمّة يصوّرون آل محمّد في مثل هذه الصّور والمجد العظيم، ينالون مُلكا منشودا في الآخرة، فيخلّدون، تجمعهم الأخبار مع أئمّة الله وأصفيائه من الأنبياء مثل إبراهيم وذرّيته، فيقفون في أسمى الأماكن وأعلاها، ويمكثون على يمين العرش وفوق منابر النّور، ويُكسون حللا ورديّة، دالّة على الرّقيّ النّفسيّ والمجد والنّعيم الرّوحيّ والمادّيّ والحبور. ويظهر رسول الله وعليٌّ وشيعته على كثبان من المسك، ولهم منابر من نور أئمة وقادة لكل البشر[2]. وتطالعنا في هذا الخطاب عبارات المنبر والكثبان والعرش التي تدلّ على معاني الرّفعة والاعتلاء والصّعود وتشير إلى القيادة والسّلطة وبسط النّفوذ.

ويضفي الخطاب الدّينيّ المتخيّل صورا غريبة على المكان الأخرويّ، فاكتسب دلالات إيجابيّة مقدّسة وأخرى سلبيّة. لقد أضحت الجنّة هي الإيمان والتّوحيد والرّؤيا، وأمّا النّار فهي الكفر والإنكار وفضاء انتقام من السّلطة الظالمة، سلطة الصّحابة وبني أميّة وبني العبّاس ومن والاهم من النّاس. وقد ارتبطت قداسة المكان بقداسة شخصيّات الأئمّة، وبالشّرعيّة السّياسيّة للإمامة والسّلطة التي وهبها الله لهم وفرضها على كلّ مؤمن ومؤمنة، ولذلك فإنّ رفعة المنزلة تعبّر عن اهتمام الله بهم في العالم الأخرويّ، فقد خلق لهم أمكنة خاصّة بهم تكريما وتبجيلا لهم وتميّزا عن سائر الخلق والمبعوثين، فقد ورد في التّفسير أنّ للجنّة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النّبيّون والصّدّيقون، وآخر يدخل منه الشّهداء والصّالحون، وخمسة أبواب يدخل منها الشّيعة ومحبّوهم، ممّا يدلّ على تصوّر للجنّة والآخرة يقوم على الحكم والسّلطة، وعودة الحياة بعد الموت[3].

وأمّا الإيحاءات السّلبيّة فإنّها تتعلّق بالخصم السّياسيّ، ويصبح المكان ذا أبعاد سياسيّة رمزيّة ودينيّة تعبّر عن عقيدة الرّوّاة الشّيعة، فللنّار سبعة أبواب: باب لفرعون وهامان وقارون، وآخر للمشركين والكفّار، وباب يعرف بباب لظى وسقر، وباب الهاوية يدخل منه بنو أميّة، تهوى بهم النار سبعين خريفا، ويدخل منه الأعداء السّياسيّون والخصم الدّنيويّ على الملك، وهم بنو أميّة وأبو سفيان ومعاوية وآل مروان، فيكونون حطب النّار ووقودها، ولها باب يدخل منه مبغضو آل البيت وخاذلوهم ومحاربوهم[4].

---

[1] راجع مثلا:أبو منصور عبد الله بين محمد بن إسماعيل الثعالبي،غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، (الإحالة غير موجودة) ص60.

[2] تفسير القمي، م1، ص135. البرهان في تفسير القرآن، م2، ص 130 و136.

[3] البرهان، م4، ص ص358-360.

[4] البرهان، م4، ص359.

وفي رواية أخرى إنّ لجهنّم سبعة أبواب مخصّصة للصّحابة / أعداء عليّ عند الشّيعة، فالباب الأوّل للظّالم زريق (أبو بكر)، والباب الثّاني لحبتر (عمر) ، والثّالث لنعثل (عثمان)، والرّابع لمعاوية، والخامس لعبد الملك، والسّادس لعسكر بن هوس، والسّابع لأبي سلامة[1]....فتركّز اهتمام الرّواة على أعداء آل البيت السّياسيّين وخصومهم على السّلطة، ولم يعد محور اهتمامهم المشركين والمرتدّين عن الدّين والمخاصمين للرّسول، وأضحت جهنّم مأوى المتنافسين على الملك وعلى وراثة النّبيّ.

لقد وزّع المتخيّل السّياسيّ الحيّز الجغرافيّ الأخرويّ إلى فضاءات متنوّعة وضمّها أصنافا من النّاس والكائنات، فاختلفت الجنّة والجحيم والتبستا بمعان سياسيّة، وهدفت صورتهما إلى تشويه الصّحابة والخصوم السّياسيّين لآل الرّسول أو تكريم الأئمّة وأتباعهم. لقد لعب المتخيّل دوره في تشكّل هذه التّصوّرات السّياسيّة، فتخيّل الرّوّاة السّلطة التي حرم منها الشّيعة وبيّنوا صنف العقاب الذي ينبغي أن يعاقب به الأعداء، فكان العقاب والثّواب ماديّا وحسّيا بشريّا صاغه الوجدان وبنته المخيّلة، ويجسّم نماذج حسّيّة تنتمى للبيئة التى عاش فيها الرّواة والمفسّرون، ويعبّر عن العقوبة السّياسيّة للمعارضين والمتطاولين على الشّخصيّات الدّينيّة.

ونستخلص من هذا التّقسيم الجغرافيّ السّياسيّ حرص المتلقّي للنّصّ القرآنيّ على أن يصوغ نصّا تفسيريّا رمزيّا لصورة القيامة والحياة الآخرة، فاحتوى خطاب القيامة والمعاد مادّة لغويّة أسطوريّة تخصّ المكان والزّمان والفواعل للتّعبير عن أحقيّة السّلطة وعن المشاغل السّياسيّة للجيل الإسلاميّ الأوّل، وقد ذهب **رولان بارت** (Roland Barthes) إلى أنّ الأسطورة لغة حكائيّة رمزيّة حيّة ومنظومة سيميولوجيّة تستدعي القارئ إلى أن يفكّ رموزها ويكشف غاياتها الإيديولوجيّة ويفهم وظيفتها الأساسيّة[2].

إنّ الخطاب الأسطوريّ الخاص بالحياة الآخرة عبّر عن رؤية سياسيّة تناصر آل البيت وتطعن في حكم السّنّة، وتدفع إلى الالتفاف حول الأئمّة واتّباع آل الرّسول، وتنظّر لعقائد الفرقة وتوجّهاتها السّياسيّة، وتكشف عاقبة منكري الأئمّة والولاية ومتّبعي الخلفاء، ففي الآخرة يجد هؤلاء أنفسهم من الخاسرين، لا ينفعهم أئمّة الضّلالة والجور الذين اتّبعوهم، وإنّ من أنكر الإمام وتولّى الإمام الجائر الذي لم ينصّ الله عليه أكبّه الله ذلك اليوم في النّار، فالحسنة هي معرفة الإمام وطاعته والسّيئة هي عداوته وبغضه . ويبعث الله يوم القيامة من كلّ أمّة شهيدا، وتظهر كلّ أمّة مع إمامها، فلكلّ أمّة وليّ، ولكلّ زمان إمام، إنّ الأئمّة يشهدون على النّاس، فيعذب الله الذين كفروا وأنكروا حقّ عليّ . وتبدو هذه السّلطة الشّرعيّة واضحة من خلال منح الأوصياء/الأئمّة عدّة مهامّ، فيضعون موازين القسط، ويجازون

[1] تفسير العياشي ، م2 ، ص 263 ، البرهان ، م4 ، ص ص359 -360.

[2] Roland Barthes, *Mythologies*, Paris, Seuil, 1957, p-p. 181-233.

من اتّبع الصّراط/الإمام عليّ بن أبي طالب، وهم عرفاء الله، يدخلون الجنّة كلّ من عرفهم وأقرّ بولايتهم، ويلقون بمن خفّت موازينهم في نار جهنّم لأنّهم جحدوا الأئمة[1].

لقد تجلّى لنا من خلال هذا البحث أنّ خطاب الشّرعيّة نهل من مرجعيّات دينيّة وسياسيّة قديمة جاهليّة وكتابيّة، فكان تأويل أحاديث القيامة والمعاد أمرا مشهورا في أغلب المذاهب والأديان، وقد جعل الرّوّاة سلطة الأئمّة الدّينيّة والسّياسيّة مطلقة ومستمدّة من الله، وقام تصوّرهم للسّلطة على تكوين نظام دينيّ مقدّس يتأسّس على الخلافة والملك وإقامة دولة الفقهاء والأئمة وعلى الزّعامة الدّينيّة والسّياسيّة للشّيعة الإماميّة منذ أن تبلورت النّظريّة السّياسيّة الشّيعيّة حول الولاية في فترة الإمام جعفر الصّادق (ت148هـ)، ولازال المتديّنون ينتظرون حكما/ سلطة في مراحل زمنيّة لاحقة للقيامة، فأغرقت الأخبار الشّيعيّة في سرد دلائل ملك عليّ وذرّيته بعد القيامة، وذكرت أنّ المؤمنين ينتظرون زمنا أخرويّا وغيبيّا مقدّسا، حيث النّعيم والفوز بالجنان. وتطالعنا سلطة مهمّة للفائزين برضوان الرّبّ تعبّر عن أحقيتهم بولاية المسلمين في الدنيا وتبطل شرعية الخلفاء السنة ، يسلّمهم الله مقاليد الجنّة ومفاتيح النّار وأماكن عديدة ، لقد دفع تأويل الأحداث التّاريخيّة إلى تكرار التّاريخ والقول بانتصارات آخر الزّمان وتمييز إلهيّ للشّيعة في الآخرة، فقام الخطاب على التّوهّم والخرافة والخيال، وعلى البحث عن تاريخ أرضيّ وآخر غيبيّ متوقّع يعبّر عن رؤية فلسفيّة للتّاريخ الغيبيّ في مقابل التّاريخيّ التّجريبيّ، ويشير إلى مراتب غيبيّة وهميّة، تكون الولاية، ثم الدّجل، فالكفر، ثم الحكم في زمن أخرويّ بعد الحساب ولقاء الرّبّ.

وطالعتنا الكثير من الأحداث العجيبة المتعلّقة بعالم الغيب مثّلت استعادة للتّاريخ الإسلاميّ وللصّراع بين الصّحابة، فصاغ الرّوّاة خطابا سياسيّا يعبّر عن الانتقام من أعداء آل البيت ويستبطن التأثّر بمرجعيّات كتابيّة وجاهليّة[2] ينتصر خلالها المظلومون في الرّجعة، ثم في أزمنة غابرة في الفضاء الأخرويّ اللاّحق للحساب. وتعمّق المخيال في وصف أصناف الثّواب والعقاب زمن الحشر والحساب، فتبدّت من خلال هذه الأوصاف وانطلاقا ممّا سخّره الله للأئمّة من إمكانيّات وميزات وسلطات المنزلة الجليلة لآل البيت.

ونستخلص من هذا الخطاب المتّصل بالآخرة أنّ صورة الإمام/الزعيم الدّينيّ والسّياسيّ ومنزلته في الإسلام الشّيعيّ تشكّلت نتاج تطوّر تاريخيّ وكان للمخيال دور في تأسيسها، فانتقل من الدّلالة على

---

[1] تفسير القمي، م1، ص230 و390 . البرهان، م2، ص227و م6 ص43.

[2] تحدث تور أندري (Tor Andrae)عن تأثير المسيحية في النص المقدس الإسلامي، راجع:

Tor Andrae, *Les origines de l'Islam et le Christianisme*, Trad. Jules Roches, Paris, Maisonneuve, 1955.

خليفة الرّسول إلى التّعبير عن خصائص شخصيّة الإمام الرّوحيّ والقائد السّياسيّ المعيّن من الله منذ أن خلق الله الكون، وليكون زعيم مذهب إسلاميّ رغم أنّ مصطلحي إمام ووليّ أُعتُمدا في فترات تاريخيّة متأخّرة عن انتشار الإسلام، ثم ليكون صاحب النّفوذ في الفضاء الأخرويّ.

ومن الجليّ أنّ المتكلّمين والمفسّرين الشّيعة استثمروا بنية النّصّ القرآنيّ، فنشط المخيال الإسلاميّ وتفاعل مع قصص المعاد والعقاب والجزاء، وتنوّعت معجزات نهاية الكون وبداية النّشر والحساب، واعتمد الرّوّاة أحاديث الأئمّة التي توظّف الخرافة والأسطورة ولا تميّز بينهما [1] ، للاستدلال على رفعة منزلة أهل البيت وعظمة الأولياء وأحقيّتهم بولاية المسلمين.

لقد أعاد الرّواة والمفسّرون توظيف قصص الأنبياء وأخبار الغيب والحساب دون تمحيص متونها، والانتباه إلى ما تحتويه من تناقض وتعصّب واضطراب، فأصبح أهل البيت بعض أبطالها وقادة للنّاس في أزمنة سرمديّة، وعبّرت أحداثها عن عقيدة المفسّر مثل القول بالرّجعة والعصمة والغيبة والحياة بعد الموت وإقرار سلطة آل الرّسول في الآخرة وتنوّع أشكال جزاء الشّيعة والمنافقين، فكان المتلقّي قارئا لها ومنتجا لأفكارها، وصارت مرتبة الوصيّ أكثر شأنا من منزلة النّبيّ، وغدت قصّة الوليّ أهمّ من قصّة النّبيّ. وقد أشهد الله الأنبياء على ولاية آل البيت وأخذ منهم الميثاق بالولاية وبعثهم بها إلى النّاس، فأقرّوا بعظمة حجج الله وبأنّهم الخلفاء في الدّنيا والحكماء في الآخرة.

ومتى أنعمنا النظر **في** هذا الخطاب الخاصّ بالملك في الآخرة سوف نلاحظ أنه جمع بين الاعتقاد الدّينيّ والاعتقاد السّياسي، فقد تحوّل الدّين ورموزه ومعتقداته وركائزه إلى إيديولوجيا لتبرير شرعيّة السّلطة والاحتجاج لها ورسم معالم الدولة الدينية، وانتقل الدّين من الاعتقاد المقدّس المتعالي المنزّه عن الدّنيويّ إلى مجال المعتقد السّياسيّ والمتوقّع والمتخيّل الغنيّ بالأبعاد الإيديولوجيّة والتّاريخيّة وإثبات شرعيّة السّلطة تاريخيّا ودنيويّا وغيبيّا، لما تمتزج الوقائع والرّموز الدّنيويّة بالمتخيّل والعجيب والغيبيّ، فتحوّل الرّواة من الدّينيّ/ مجال العقائد إلى السّياسيّ/الإيديولوجيا السّياسيّة لتبرير الحكم والمطالبة بالسّلطة وإضفاء الشرعية على ولاية الأئمة ونوابهم، وتداخل الاعتقاد الدّينيّ المعبّر عن سلطة الماضي بالاعتقاد السّياسيّ الذي يرسم آفاق المستقبل لنيل الحكم الدّنيويّ، فتستمرّ القوّة والشّرعيّة السّياسيّة والحاكميّة في الآخرة بحرمان المخالفين من القيادة ومن رضوان الرّبّ والنّعيم، وبمنح الأئمّة مسؤوليّات قياديّة.

لقد تبين لنا إثر مقاربة تصوّرات الحكم في هذه الأزمنة المختلفة أنّ للمتخيّل السّياسيّ الإسلاميّ مرجعيّاته، فهو يعبّر عن عدّة دلالات غنوصيّة مغالية في الأئمّة، وينهض بوظائف متنوّعة، لأنّه خطاب

[1] راجع: يحي محمد، مشكلة الحديث السني والشيعي، ط1، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص ص271-370.

متخيّل ناتج عن إيديولوجيا مذهبيّة ودينيّة تجسّم مجموعة العناصر السّيميائيّة التي ينتجها المتديّن ليرسم من خلالها علاقته مع كلّ ما هو غيبيّ وخارق ومفارق ومطلق، ويسعى انطلاقا منها إلى التّعمّق في التّصوّرات والمعتقدات السّياسيّة والدّينيّة التي تخصّ ما وقع في بداية الدّعوة الإسلاميّة وما سيحدث في آخر الأزمنة وفي العالم الفوقيّ المفارق، فيمرّ خطاب الرّواة من السّياسي إلى الدّيني، ويتداخل الخطابان ليعبّرا عن الرغبة في السّلطة والقيادة في كلّ الأزمنة ولإضفاء طابع القداسة على السّلطة، فتصبح الإمامة والولاية أمرا مقدّسا وشأنا متعاليا والدولة الدينية مطمحا شرعيا. ويسبغ هذا الخطاب معاني السّموّ والطّهارة على كلّ الفضاءات وعلى الأحداث والكائنات، ويجسّم البحث عن شرعيّة مفقودة للسّلطة ويعبّر عن حلم بقيادة الكون.

ونستنتج من خلال الحديث عن شرعيّة الحكم والسّلطة في الآخرة أنّ المتلقّي الشّيعيّ؛ أي المفسّر والمتكلّم والرّاوي اندفع إلى البحث عن المعنى السّياسيّ في النّصّ الدّينيّ أو عن المعنى الدّيني في السّياسة، بتقديم تأويل سياسيّ للنّصّ يفرض على المسلمين تنصيب الأئمة واتباعهم.

لقد صاغ المتلقّي للنّصّ القرآنيّ والحديث نظريّاته في الحكم، وأنتج تعريفه للسّلطة وفق ظروفه التّاريخيّة والنّفسيّة، فأسبغ القارئ على نصّ القرآن والحديث معاني لاحقة لنزول الوحي وخارجة عن سياق الآيات التّاريخيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة، ورسم صورة القائد السّياسيّ ونظام الحكم وفق ما رسخ في ذهنه من أحداث تاريخيّة تجسّم التّنافس على السّلطة. ومن الواضح في هذا الخطاب الخاصّ بالسّلطة أنّ فعل التّأويل شمل المعانيَ السّياسيّة وأنّ حركة توليد معاني النّصّ بدت واضحة وتتناسب مع تاريخ المذهبيّة وتدفع إلى صراع التّأويلات بين الأحزاب السّياسيّة، فقد شكّلت الأحداث التّاريخيّة مثل السّقيفة ومقتل عليّ وعثمان والحسين منطلقا للصّراع على التّأويل ودعم خطاب الشّرعيّة السّياسيّة والدينية، ومثّلت مدار الجدل السّياسيّ والتّاريخيّ بين المسلمين. ولا شكّ أنّ المفسّر والقارئ عامّة للنّصّ القرآنيّ يأتي بمعان من خارجه، أي من حقل اجتماعيّ وسياسيّ وثقافيّ عاشه المسلمون. لذلك نرى أنّ التّأويل وجمع الأخبار حتّما ضرورة قيام سلطة سياسيّة، وأكّد الرّواة أنّ لكلّ زمان إماما، ولا يمكن أن يكون النّاس دون إمام، ولهذا الإمام صفات معيّنة وشروط محدّدة لتنصيبه وولايته للمؤمنين وقيادته لهم[1]. وألزم النّصّ التّفسيريّ النّاس بسلطة مخصوصة تعود إلى أئمّة آل البيت، وساهم في إنتاج معتقد الإمام القائد والوريث الشّرعيّ في الدّنيا والآخرة، وتأكيد خصائص الحكم انطلاقا من القرآن وروايات آل الرسول، فلم يتوان

[1] البرهان في تفسير القرآن ، م2، ص257. أصول الكافي ، ص ص92-162.

المسلمون في نسبة أخبار إلى النّبيّ والأئمّة تفضي إلى وضع النّصّ القرآنيّ داخل فضاء أو سياق تاريخيّ ودلاليّ يستقي مرجعيّاته من جهات مختلفة.

وتبيّن لنا أنّ مرجعيّات المتخيّل الإسلاميّ المتعلّقة بشرعيّة الحكم والشّأن السّياسيّ شكّلتها الثّقافة السّابقة للإسلام ومنتجات الفكر الإنسانيّ عامّة، ومن أهمّها الفكر الأسطوريّ القديم الذي يهمّ الأبطال والقادة والرّموز السّياسيّة وأخبار أهل الكتاب وغيرهم من أهل الملل والنّحل التي تتحدّث عن الملك والدّولة المنتظرة، وتعود كذلك إلى نصوص إسلاميّة أبرزها القرآن والأحاديث المنسوبة إلى الرّسول وقصص الأنبياء والشّأن السّياسيّ الإسلاميّ، فكان المخيال السّياسيّ الشّيعيّ ينهل من أديان وثقافات مختلفة.

ويلاحظ المتابع لأدبيّات الفكر الشّيعيّ أنّ مرجعيّات الحكم توزّعت إلى تاريخيّة وغنوصيّة وكتابيّة ووثنيّة وخياليّة وعقائديّة واجتماعيّة وأسطوريّة ، واستفاد المتكلّمون والرّواة من مرجعيّة الرّمز والتّاريخ والرّؤى والأحلام والخرافة ، وكان الأئمّة من آل البيت الملهم والرّمز المؤسّس لها. فغذّى المخيال هذه النّظريات والمرجعيّات، وأثبت المسلمون من خلالها شرعيّة السّلطة. وقد أثّرت كلّ هذه المرجعيّات والمنطلقات والمناهل في تشكيل البنية الفكريّة للعقل الشّيعيّ ومنحت شرعيّة السّلطة في الوجدان الإماميّ.

ويمكن أن نقول إنّ خطاب الشّرعيّة الدّينيّة والسّياسيّة مثّل تنظيرا سياسيّا وعقائديا رسم معالم دولة النبوة والخلافة، وقد استمدّ أسسه ودعامته من النّصوص الدّينيّة ومن جذور تاريخيّة متنوّعة . ونعتقد أنّ هذه الدّولة المنتظرة تتعارض مع القانون الإنسانيّ، ذلك أنّ المنظّرين لها يرفضون القول بالطّبيعة البشريّة للسّلطة السّياسيّة، فيسقط القارئ للقرآن والحديث نظرته للدّولة وتصوّره لنظام الحكم على النّصّ، ويصبح هذا المتلقّي قارئا فاعلا يمنح النّصّ معانيَ مذهبيّة وسياسيّة تدلّ على الولاية وشرعيّة الحكم وبسط نظريّة الإمامة الإلهيّة. فقد كان لمتلقّي النّصّ دور مهمّ في توليد الدّلالة وإنتاج المعاني السّياسيّة والدّينيّة واعتماد مرجعيّات مختلفة ليرسم شكل الحكم وطابع السّلطة ويضبط هويّة مرجع ولاية الأمر، ولا شك في أنّ المعاني السّياسيّة والدّينيّة كانت نتاج التّفاعل بين المتلقّي/ القارئ والنّصّ وثمرة ما يستدعيه القارئ من مرجعيّات مختلفة جسّمت ملامح التّفاعل بين المتلقّي والنّصّ، فيدّعي أنّ المعاني جزء من النّصّ أو كامنة فيه ولكنّها في الحقيقة موجودة خارجه وهو من يولّدها ويلحقها به، لأنّ وجودها بعديّ ولاحق ونابع من ثقافته ومرجعيّاته الفكريّة والدّينيّة والسّياسيّة وتصوّراته لمفهوم الإمامة ولمهمّة الوليّ الإمام ولنظام الحكم، وقد بيّن أعلام "مدرسة نظرية التلقّي الألمانية" مثل إيزر (Wolfgang Iser) وياوس (Hans

Robert, Jauss) دور هذا القارئ في توليد المعنى وإضفاء الدّلالة على النّصّ عند كلّ قراءة، فيرسم أفق انتظار جديد[1].

وعلى هذا النّحو قام تعريف السّلطة والدّولة في التّراث الشّيعيّ على أساس دينيّ صرف، واتّخذ الرّواة النّصّ الدّينيّ والرّؤى والتّنبؤّات والأحاديث مرجعيّات في السّياسة وتعريف الملك والدّولة وضبط مفهوم السّلطة، فتمّ دمج المجالين الدّينيّ والسّياسيّ وتولّد الإقرار بوجوب حكومة إسلاميّة إلهيّة تنبني على التّعيين الإلهيّ وعلى الحاكميّة الإلهيّة وعلى العودة إلى الأصول وإثبات محوريّة الإمام أو وليّ الأمر الذي يصوغ الأحكام ويبني القوانين.

الخاتمة:

نستخلص من هذا البحث أنّ خطاب الشّرعيّة السّياسيّة أنشأته الأحداث التّاريخيّة وأغنته مخيّلة الرّواة وخطاباتهم الرّمزيّة والوجدانيّة التي تقوم على تقديس الأئمّة وتعظيمهم. فقد تنوّعت مرجعيّات السّلطة في الفكر الشّيعيّ القديم، وتراوحت بين مرجعيّة دينيّة وأخرى تاريخيّة تعتمد على حجّة الواقع، وتستند إلى أحداث تاريخيّة تثبت أحقّية عليّ وذرّيته بالسّلطة، وتؤكّد غدر الأمّة لنبيّها وإنكارها لوصيّته في حادثة السّقيفة وواقعة الجمل وصفّين. لقد اعتمد الرّواة الحديثَ سُلطة مرجعيّة لتأكيد ولاية آل البيت وإثبات أنّ السّياسة الشّرعيّة تستند إلى القرآن والثّقلين: محمّد وآله وعليّ وذرّيته من الحسين. ولاحظنا أنّ الرّواة وظّفوا مرجعيّة غنوصيّة ومتخيّلة ورمزيّة للاستدلال على الإمامة والاحتجاج على السّلطة القائمة، فتواترت الصّفات العجيبة للأئمّة التي تؤكّد علمهم بالغيب واصطفاء الله لهم لقيادة المسلمين وتميّزهم بقدرات خارقة، ورأينا أن خطاب السّلطة يستند إلى مرجعيّة جاهليّة وكتابيّة تؤمن بعودة الحياة بعد الموت وتحقيق ملك دنيويّ.

وقد انبنى مفهوم السّلطة في الفكر الشّيعيّ القديم على تكوين الدّولة بالمعنى التّاريخيّ الذي يستوجب حاكما وشعبا من المؤمنين وعلى حكومة دينيّة تستمدّ شرعيّتها من الله والكتاب والأئمّة ولكنّها أيضا الدّولة أو الحكومة بالمعنى المتخيّل والرّمزيّ والغيبيّ لأنّها لم تتحقّق بعد في التّاريخ، فيستدعي الرّواة أزمنة تاريخيّة ماضية تعود إلى وقائع "السّقيفة" و"صفّين" و"الجمل" ويرسمون تصوّراتهم للحكم في أزمنة منتظرة سابقة للسّاعة ولحكم يقع في الفضاء الأرضيّ وفي أزمنة تاريخيّة ولكنّها عجيبة، وعلى تصوّر

[1] Wolfgang Iser, *L'acte de lecture-théorie de l'effet esthétique,* Trad. Evelyne Sznyeer, 2ème éd., Bruxelles, Mardaga, 1997. Cf. Hans Robert Jauss, *Pour une herméneutique littéraire*, trad. Maurice Jacob, Paris, Gallimard, 1988.

للسّلطة يكون في الآخرة يتأسّس على أزمنة غيبيّة مطلقة تجسّم أبعادا نفسيّة وسلوكيّة يظهر فيها الشّيعة بمظهر الأمراء والحكّام في أمكنة مقدّسة ومفارقة للعالم الدّنيويّ.

نستنتج من هذه التّصوّرات للحكم في الفكر الشّيعيّ القديم أنّ السّلطة وهاجس الشّرعيّة كانا بؤرة تفكير الرّوّاة والمؤمنين، ومسألة يحاجّون من أجلها ويخوضون بسببها غمار معركة نفسيّة ووجوديّة وتاريخيّة مع غيرهم من أهل الفرق والمذاهب ومع السّلطة الحاكمة. وقد شهدت النّظريّة الشّيعيّة القديمة للسّلطة التي تقول بوجوب ولاية الأئمّة واتّباع اثني عشر إماما آخرهم الإمام المهديّ الذي يحكم العالم وهو في سرداب، تطوّرا وتحويرا، إذ ظهرت نظريّة الوكلاء الأربعة أو نوّاب الإمام القائم بداية من القرن الثّالث عشر الهجريّ لما بدأ الفقهاء في التّأسيس لنظريّة الدّولة وولاية الفقيه المطلقة. فكانت نظريّة السّلطة وشرعيّتها مقترنة خاصّة بآل البيت وبالإمام الغائب وانتظار دولة الحقّ، ولا تخرج عن الوصيّة، وهي أمر إلهيّ، ولذلك أبطل العلماء شرعيّة كلّ سلطة سياسيّة قامت بعد الرّسول. ثم آمن الشّيعة بوجوب تعدّد الفقهاء والمرجعيّات وبالحكومة الإسلاميّة، وبالانتخابات لإقامة الجمهوريّة الإسلاميّة، فاستندت نظريّة الدّولة إلى مرجعيّات حقوقيّة ووضعيّة، واستفاد العلماء والمنظّرون من فلسفة حقوق الإنسان، وأرادوا الانخراط في قيم الحداثة، فتنوّعت مرجعيّات الحكم والسّلطة، وشملت الدّستور والأحزاب السياسيّة والوليّ الفقيه أو المرشد الأعلى ومجلس الشّورى ومجلس الخبراء ورئيس الدّولة والحكومة المنتخبة التي تمارس السّلطة عن طريق الانتخاب.

المصادر والمراجع:

1-المصادر :

-البحراني،هاشم،البرهان في تفسير القرآن،الأعلمي للمطبوعات،بيروت،2006.

- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن ، كتاب الغيبة ، ط2 ، مطبعة النعمان ، النجف ، 1964.

- العياشي، أبو النصر محمد بن مسعود ، تفسير العياشي،ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان، 1991.

- فياض، علي، نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2010.

- القرآن الكريم.

- القمي،علي بن إبراهيم تفسير القمي، ط1، الأعلمي للمطبوعات، بيروت،1991.

- الكليني، جعفر محمد بن يعقوب أصول الكافي، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 2005.

- ابن مرتضى، محمد، الملقب بالفيض الكاشاني، كتاب الصافي في تفسير القرآن، ط1، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1419 هـ.

- مصطفوي،محمد، نظريات الحكم والدولة،دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدستوري الوضعي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2002.

- النائيني، محمد حسين، تنبيه الأمة وتنزيه الملة، ط1، ترجمة مشتاق الحلو، مراجعة عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين بغداد، دار التنوير للطباعة والنشر، .2014

2 – المراجع :

1- المراجع باللغة العربية :

– أركون، محمد ، مفهوم السلطة في الفكر الإسلامي : 'لا حكم إلا لله' ، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد73/72، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990.

– الأمين، علي، ولاية الدولة ودولة الفقيه، ط3، دار مدارك للنشر، الإمارات المتحدة، 2014.

– الثعالبي، أبو منصور عبد الله بين محمد بن إسماعيل ،غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، (الإحالة غير موجودة).

– الجمل، بسام، في المتخيل الديني، ضمن كتاب: أعمال مهداة إلى الأستاذ عبد المجيد الشرفي، ط1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس، 2014.

– الدبابي الميساوي، سهام، إسلام الساسة، ط1، رابطة العقلانيين العرب، دار الطليعة، بيروت– لبنان، 2008.

– ركن آبادي، غضنفر، الإسلام والنظام السياسي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط2، بيروت،2013.

– سليم، رضوان، نظام الزمان العربي دراسة في التاريخيات العربية–الإسلامية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، 2006.

– السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط1، دار الفكر، لبنان، 1993.

– شيمل، أنا ماري ، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل، كولونيا– بغداد، 2006.

–الطباطبائي، محمد حسين، الشيعة في الإسلام، دار التعارف،بيروت– لبنان،(دت).

– العلوي، سعيد بن سعيد، خطاب الشرعية في الإسلام السني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.

– فازيو، نبيل، دولة الفقهاء بحث في الفكر السياسي الإسلامي، ط1، بيروت، 2015.

– القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم ، ط1، دار الفكر، بيروت– لبنان، 2000.

– قلهوزن، يوليوس، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1976.

– الكتاب المقدس.

– كوربان، هنري، في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية، ترجمة ذوقان قرقوط، ط3، القاهرة، 2004.

– الماوردي، أبو الحسن، الأحكام السلطانية، تحقيق عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

– محمد، يحيى، مشكلة الحديث السني والشيعي، ط1، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014.

– المسعودي، حمادي، متخيل النصوص المقدسة في التراث العربي الإسلامي، ط1، دار المعرفة للنشر، 2007.

–مصطفوي،محمد، نظريات الحكم والدولة، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدستوري الوضعي،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت، 2002.

– معجم اللاهوت الكتابي، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، 1986.

– المقريزي، تقي الدين التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، بيبليون، لبنان(د.ت).

- موران، إدغار ، النهج، إنسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، ط1، دار كلمة، أبو ظبي، 2009.

2- المراجع باللغة الفرنسية :

-Andrae Tor, *Les origines de l'Islam et le Christianisme*, Trad. Jules Roches, Paris, Maisonneuve, 1955.

-Barthes Rolande, *Mythologies*, Paris, Seuil, 1957.

-Boia Lucian, *Pour une histoire de l'imaginaire*, Paris, Les Belles lettres, 1998.

-Chebel Malek, *Dictionnaire des symboles musulmans*, Paris, Albin Michel, 1995.

-Durand Gilbert, *L´imagination symbolique*, Paris, PUF, coll. Quadrige, 2003.

-Durand Gilbert, *Les structures anthropologiques de l'imaginaire*, Paris, PUF, 1984.

-Gauchet Marcel, *La démocratie contre elle-même*, Paris, Gallimard, 2002.

-Iser Wolfgang, *L'acte de lecture-théorie de l'effet esthétique*, Trad. Evelyne Sznyeer, 2ème éd. Bruxelles, Mardaga, 1997.

-Jauss Hans Robert, *Pour une herméneutique littéraire*, Trad. Maurice Jacob, Paris, Gallimard, 1988.

-Lévi-Strauss Claude, *Anthropologie structurale*, Paris, Plon, 1974.